الخدمة الإجتماعية الناهضة

طرق مهنية متساندة مترابطة

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(طرق مِهنيَّة متساندة مترابطة)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدَّمةُ 7

مكّونات التساند والترابط لطرق المهنة 9

وحدة الاهتمام تساندًا وترابطًا 9

وحدة المنطق تساندًا وترابطًا 10

وحدة الهدف تساندًا وترابطًا 12

وحدة الغاية تساندًا وترابطًا 17

وحدة نيل المأمول تساندًا وترابطًا 24

وحدة المعلوماتُ الصَّائبة حُجَّة تساند وترابط 37

وحدة القدوة تساندًا وترابطًا 45

وحدة صُنع المستقبل تساندًا وترابطًا 52

وحدة التّوافقُ تساندًا وترابطًا 63

وحدة المنهج تساندًا وترابطًا 68

وحدة القواعد النَّاهضة والمتساندة ترابطًا 89

وحدة الإنسان قوَّة متساندة مترابطة 93

وحدة التيسير الممكن تساندًا وترابطًا 96

وحدة التواصل الاجتماعي تساندًا وترابطًا 101

وحدة الكلمة حُجَّة متساندة ومترابطة 109
وحدة الاستيعاب تساندًا وترابطًا 114
وحدة التَّرابط العلائقي تساندًا 118
وحدة الثَّبات والاهتزاز تساندًا وترابطًا 127
وحدة الظَّاهر كمون متساندًا ومترابطًا..... 129
وحدة الشَّكُّ من أجل اليقين تساندًا وترابطًا..... 132
وحدة المبادئ تساندًا وترابطًا 134
وحدة ممارسة الحقوق تساندًا وترابطًا..... 135
وحدة تأدية الواجبات تساندًا وترابطًا 136
وحدة حمْل المسؤوليَّة تساندًا وترابطًا 137
وحدة استبصار الذَّات تساندًا وترابطًا 139
وحدة نيل الاعتراف تساندًا وترابطًا..... 142
وحدة اعتماد السِّريَّة تساندًا وترابطًا..... 144
وحدة تبادل الاحترام تساندًا وترابطًا..... 147
وحدة ردّ الاعتبار تساندًا وترابطًا..... 148
وحدة استشعار التفهُّم تساندًا وترابطًا..... 149
وحدة الاتزان الوجداني تساندًا وترابطًا 150

وحدة غرس الثِّقة تساندًا وترابطًا 151
وحدة التماس الاستيعاب تساندًا وترابطًا 153
وحدة تبادل الخبرة تساندًا وترابطًا 154
وحدة استبصار التقبُّل تساندًا وترابطًا 155
وحدة إحراز التقدير تساندًا وترابطًا 155
وحدة تفخيم الكرامة تساندًا وترابطًا 157
وحدة تحكيم الضَّمير تساندًا وترابطًا 158
وحدة تعزيز الموضوعيَّة تساندًا وترابطًا 159
وحدة اعتبار الخصوصيَّة تساندًا وترابطًا 161
وحدة تفعيل المشاركة تساندًا وترابطًا 162
وحدة ترسيخ الشَّفافيَّة تساندًا وترابطًا 163
وحدة الأخلاق المهنيَّة تساندًا وترابطًا 164
وحدة معياريَّة التقويم تساندًا وترابطًا 165
وحدة التغيير نهوضًا متساندًا ومترابطًا 165
وحدة المجالات النَّاهضة تساندًا وترابطًا 167
وحدة العلائق الاجتماعيَّة تساندًا وترابطًا 169
وحدة العلائق الإنتاجيَّة تساندًا وترابطًا 171

وحدة العلائق النَّفسيَّة تساندًا وترابطًا 174
وحدة العمليَّات النَّاهضة تساندًا وترابطًا 176
عمليَّة جمع المعلومات تساندًا وترابطًا 176
وحدة عمليَّة تحليل المعلومات تساندًا وترابطًا 180
وحدة عمليَّة التشخيص تساندًا وترابطًا 183
وحدة عمليَّة العلاج تساندًا وترابطًا..... 185
وحدة عمليَّة التقييم والتقويم تساندًا وترابطًا 190
وحدة المستويات القيميَّة تحليلًا متساندًا ومترابطًا 194
وحدة التحليل على المستوى القيمي الذَّاتي 194
وحدة التحليل على المستوي القيمي المنطقي..... 197
وحدة التحليل على المستوى القيمي الإنسحابي..... 200
وحدة التحليل على المستوى القيمي الأناني..... 202
وحدة التحليل على المستوى القيمي الموضوعي 205
وحدة وسائل الدِّراسة تساندًا وترابطًا 209
وحدة المقابلة تساندًا وترابطًا..... 210
وحدة الملاحظة تساندًا وترابطًا..... 219
وحدة المشاهدة تساندًا وترابطًا..... 227

وحدة الاستبيان تساندًا وترابطًا 232
وحدة التصنيف القيمي تساندًا وترابطًا..... 238
صدر للمؤلّف 240
المؤلَّفاتُ..... 242
المؤلِّفُ في سطورٍ 264

المقدَّمةُ

مع أنَّ لكل طريقة من طرق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة خصوصيَّة، فإنَّ وحدة فكريَّة بينها تتساند وتتعاضد وتترابط قيمًا؛ ولذا فكما لخدمة الفرد مفردات خاصَّة بها، فكذلك لخدمة الجماعة مفردات خاصَّة بها، وأيضًا لطريقة تنظيم المجتمع مفردات خاصَّة، وبها تتميّز، وفوق ذلك كلّه فللمهنة فلسفة واحدة، وكل المفردات لا تستمد إلَّا منها قيمة وحُجَّة وبرهانًا.

إذن فلا إمكانيَّة لاستقلال طريقة من طرق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة عن الأخرى؛ ذلك لأنَّه لا وجود لفردٍ مستقلٍ بذاته عن الجماعة، سواء أكانت أسريَّة أم جماعة مدرسيّة أم جماعة عمل وممارسة مناشط، وهكذا لا وجود لجماعة إلَّا والمجتمع حاضنٌ لها.

وعليه فالخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة لا يُنظر إليها إلَّا وحدة واحدة متساندة ومترابطة، ولها فلسفة لا ترى الإنسان إلَّا قيمة مقدَّرة، فلا ينبغي الاستهانة به، كما أنَّها فلسفة وترى للفرد حقوق، وللجماعة حقوق، وللمجتمع بأسره حقوق ينبغي أن تمارس بلا تردد؛ وترى لهم جميعًا واجبات ينبغي أن تؤدَّى رغبة وإرادة، ولهم مسؤوليَّات ينبغي أن يحملوها ويتحمَّلون ما يترتّب عليها من أعباء ولو كانت جسيمة؛ ومن هنا فهي المهنة التي ترفض أفعال وسياسات الحرمان والاقصاء والتهميش، سواء أكانت الأفعال والسِّياسات تلاحق فردًا، أم أنَّها تلاحق جماعة أم مجتمع بحاله؛ ولذا فهي

المهنة التي تعمل على إصحاح المفاهيم الدَّالة على ذلك وإصلاح ذات البين بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

مهنة ناهضة وهدفها النُّهوض بالأفراد والجماعات بغاية تغيير أحوالهم من التي هي عليه إلى ما هو أكثر رفعة ونهضة.

ولأنَّها مهنة ناهضة ولها غايات عظيمة، فهي قادرة على الدَّفع بالأفراد والجماعات والمجتمعات تجاه ما يمكِّنهم من صنع المستقبل المأمول لكلٍّ منهم.

ومع أنَّها المهنة التي تؤمن بتقديم المساعدة؛ فإنَّها لا تؤمن بأن تصبح المساعدة غاية في ذاتها، بل لا ترى وجوبًا لتقديم المساعدة إلَّا لتكون هادفة إلى التغيير نهوضًا.

ولأنَّ النَّهوض بالأفراد والجماعات والمجتمعات هو المستهدف بلوغه مهنيًّا، إذن ليس لطرق المهنة إلَّا أن تساند الأفراد والجماعات والمجتمعات نهوضًا علميًّا وقيميًّا ومعرفيًّا، حتى تحدث لهم النُّقلة المرجوة لصناعة الأمل والعمل على بلوغه ونيله مأمولًا.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

مكّونات التساند والترابط لطرق المهنة

مع أنَّ لكل طريقة من طرق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة خصوصيَّة بها تتميَّز، وبها تُمارس؛ فإنَّها مهنيًّا تتكامل في وحدة منهجيَّة وقيميَّة، مع وحدة الهدف والدّر والمبدأ والغاية، وكذلك وحدة الاهتمام ووحدة المأمول نهضة ورفعة ونُقلة.

مهنة ذات وحدة اهتمام، ووحدة فلسفة، غايتها النُّهوض بالإنسان قيمة في ذاته، فينبغي أن يُحترم ويقدَّر ويكرَّم؛ إنَّها المهنة النَّاهضة المتساندة المترابطة التي تتكامل في عمليَّاتها ومجالاتها ووسائلها، ومن ثمَّ يُقدّم الأخصائيون الاجتماعيون المساعدة لمن هم في حاجة إليها نهوضًا، ومن أهم مكوِّنات التساند والترابط المهني للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة، هي.

وحدة الاهتمام تساندًا وترابطًا:

هي وحدة التمركز الأساس الذي له من الأهميَّة الأخلاقيَّة ما له، وله من الأهميَّة النّفسيَّة ما له، وهكذا له أهميَّة أخلاقيَّة واجتماعيَّة وإنسانيَّة؛ حيث تؤمن مهنة الخدمة الاجتماعيَّة بكلِّ طرقها النَّاهضة أنَّ الإنسان شخصيَّة مستقلة، يجب تقديره قيمة ذاتيَّة مطلقة، واحترام ما يصدر عنه من آراء، بغض النَّظر عن دينه وجنسه ولونه، ووضعه السياسي والقانوني، وأصله الوطني والاجتماعي أو أي وضع آخر؛ ولذا فإنْ تعرَّض إلى ما يؤدِّي به إلى سوء التكيُّف، أو سوء التوافق الاجتماعي، فله حقوق الرِّعاية الكفيلة

والممكِّنة من تقديم المساعدة الهادفة؛ وذلك بغاية العودة به إلى بيئته الاجتماعيَّة سويًّا متفاعلًا ومشاركًا فعَّالًا.

وحدة المنطق تساندًا وترابطًا:

يستند الأخصائيون الاجتماعيون على معرفة منطق الحوار، الذي يمكّن من تفهّم الحالة التي يتعاملون معها، سواءً أكانت فرداً أم جماعةً أم مجتمعًا، وتقبُّلها كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، ثمَّ تمكين أصحابها (العملاء) من ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وتحمّل أعباء مسؤوليَّاتهم، وفقًا لقدراتهم واستعداداتهم، والاعتراف بحقوقهم في تقرير مصيرهم وعن إرادة، حتى يعيشون الحريَّة ممارسة ديمقراطيَّة وبكل شفافيَّة.

ولذا فتحديد المفاهيم في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة يساعد على إزالة اللبس والغموض، الذي قد يعلق بأذهان المتحاورين وتفكيرهم، ولهذا فعدم تحديد المفاهيم يؤدِّي بالضرورة إلى اللبسِ والاختلاف؛ ومن هنا يأتي المنطق محتوى ومضمون مترابط بقوة الحُجَّة المثبتة للحقيقة، والمبرهنة عنها؛ وفي المقابل تصبح اللغة مجرَّد الكلام أو النطق الصّوتي المسموع والمكتوب والمقروء.

ومع أنَّ البعض قد عرف لغة البعض، وأجادوا نطق لغاتهم المختلفة، وتعلَّم كل طرف القراءة والكتابة بلغة الآخر، وحدث الالتقاء، وتكوَّنت الصَّداقات والمعارف، فإنَّ التفاهم لم يحدث على منطقٍ بعد؛ ذلك لأنَّ اللغة للتخاطب وليس للتفاهم، ومن هنا فباللغة ترتفع الأصوات والمشادات

اختلافًا وخلافًا، غير أنَّ الأخلاق لم تتهذب ولم ترتقِ إلَّا بالمنطق؛ فالمنطق الرَّفيع مثل الخيط الذي به تنظم القيم الخيِّرة والفضائل الحميدة؛ ومن هنا التفتت مهنة الخدمة الاجتماعيَّة إلى المنطق الذي به تترسَّخُ قيمة الإنسان فردًا مستقلًا بذاته، أو أنَّه عضوًا في جماعة، أو أنَّه مفردة من مفردات المجتمع المحلي، أو المجتمع العام؛ ولهذا فوحدة المنطق في طرق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تعتمد على التفكير لا على الكلام، ومن ثمَّ فوحدة المنطق المهني تعتمد على ملكات التفكير وكيفيَّته، والإدراك الواعي بالمقدمات والمعطيات، ومن تمَّ يتم التركيز على معرفة الكيفيَّة التي بها يتم التفكير، وليس على الكيفيَّة التي بها يتكلم النَّاس حتى وإن كانوا عملاء مهنة.

وعليه فلغة الحوار تحاسب على المواقف التي تُرتكب؛ فعلى سبيل المثال: عندما يسرق الفرد أو الجماعة، يُجزّ بهم في السُّجون، وعندما يخمر الفرد يُسخر منه، وإذا كذب لا يثق أحد فيه مستقبلًا، وعندما يقوم بعمليَّة تزوير يُغرّم أو يسجن، كل هذه الأحكام نتيجة حوار اللغة، أمَّا حوار المنطق فيهدف إلى معرفة الأسباب التي جعلت من الفرد السَّوي منحرفًا، ولذا فغاية المنطق الإصلاح، وتفهّم الظُّروف التي يمر بها الإنسان سياسيَّة أو اقتصاديَّة أو اجتماعيَّة أو صحيَّة؛ ولذا في الوقت الذي تحاسب فيه اللغة على الموقف، فإن المنطق يحاسب على الأسباب التي كانت وراء الموقف أو الظّاهرة؛ ولهذا فإنَّ حوار اللغة يتطلّب حُسن الإصغاء في مقابل

حُسن الإلقاء، وحوار المنطق يتطلب حُسن التفهُّم، في مقابل حُسن التقدير والتدبُّر، ومن هنا فاللغة لا تولي اهتمامًا بالظُّروف، أمَّا المنطق فيهتم بتقدير ذلك ويعتبره من غاياته.

إذن: غايات اللغة أن تُحل المشاكل الآنيَّة، باتفاقيَّات مؤقَّتة، وتحلّ المشاكل وبأيَّة طريقة، حتى وإن كانت على حساب آخرين، وهذا ما لم يرتضيه المنطق، ففي لغة الحوار يلاحظ في الحديث المراوغة والمخادعة والمنافقة، وانعدام حسن النيَّة، وحوار هذه معطياته هل يُعد حوارًا عادلًا أو منصفًا؟ بالتأكيد لا. ولهذا فالحل الالتقاء أوَّلًا، ثمَّ البدء بالمنطق الذي يجعل من الالتقاء صلة، وخير منطق أن تكون البداية مع النَّاس أو عملاء المهنة من حيث هم؛ بغاية أخذهم مشاركين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه رفعة.

وحدة الهدف تساندًا وترابطًا:

تهدف مهنة الخدمة الاجتماعيَّة إلى مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات، على حل مشكلاتهم وتوجيههم إلى ما يشبع احتياجاتهم الاجتماعيَّة والإنتاجية والسياسيَّة والنفسية والذَّوقيَّة والثَّقافيَّة.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى

من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة. ومن هنا فإنَّ أهداف مهنة الخدمة الاجتماعيَّة تتمركز على:

أهدف وقائيَّة.

أهداف علاجيَّة.

أهداف تنمويَّة.

وعليه فإنَّ مفهوم إنجاز الأهداف يعني بلوغ نتيجة كانت مفترضة، والهدف هو الوحيد الدَّافع إلى الإنجاز وفقًا لقراءة موضوعيَّة؛ ولهذا فالأهداف أولويَّات معرفيَّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجيَّة، ومن ورائها تكمن مقاصد كثيرة، سواء أكانت مقاصد شخصيَّة، أم وطنيَّة، أم إنسانيَّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّها المدى الممتدّ من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات والاتجاهات العلميَّة والفكريَّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

والأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا، أم عملًا، أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها بلا غفلة.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفةً أو إصلاحًا وبناءً وإعمارًا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين المفسدين والمنحرفين والمصلحين ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا بنائيَّة قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها. ولأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها، فلا إمكانيَّة للقضاء على الاختلاف؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[1].

ومن ثمَّ فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف

[1] هود 118، 119.

أن تحدّد وفقًا لما يصلح الأفعال ويقوّم السُّلوك ويجمع شمل المتفرّقين، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة تحدِّيًا وعدلًا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظُّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الأخصائيين والباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات؛ ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنَّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدِّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلّب جهدًا يبذل عن رغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلّب صبرًا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيًا بأهميّتها.

إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدٍّ وتحدّيه.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى المسالك التي تجعل من الغير معتمدًا على الغير اتكاليَّة، ووفقًا لهذه القاعدة الأخلاقية لم ينجرَّ الأخصائيون الاجتماعيون إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية

قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم الحميدة، وإنجاز الأهداف.

وعليه: فإنَّ الأهداف ليست بأمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للأخصائيين والباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنةً وعلمًا ومعرفةً وإنتاجًا وحرفةً؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة.

وحدة الغاية تساندًا وترابطًا:

تشترك طرق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة غايةً في تحقيق الرفاهية الاجتماعيَّة للفرد والجماعة والمجتمع، وتحقيق النمو الاجتماعي؛ ولذلك فالغاية هي ذلك الشيء البعيد الممكِّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدًا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفًا مشاهدًا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصُّدور، والتي في الغالب لا يُعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضَّامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمَّا أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرًّا وجهرًا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها

(مِن قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خَلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[2].

يفهم من هذه الآية: أنَّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنَّ صفة الخالق هي الخَلق بلا انقطاع، فهو الذي خَلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خَلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[3]وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلمَاء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمَّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنَّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلًا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من

[2] الذاريات 47.

[3] الأنبياء 104.

بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلًا لنيله أو قابلًا للنيل منه أو الفوز به شيئًا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفيَّة بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذًا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبًا وإشباعًا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل

هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه، حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد المبذول موضوعيًّا.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرًا.

. الغاية مع أنَّها في النَّفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدًا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئًا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرًا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل

الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى؛ ولذا فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاءً.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوَّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

وحدة نيل المأمول تساندًا وترابطًا:

المأمول بالنسبة إلى طرق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو ذلك المراد نيله رفعة؛ إذ لا يأس ولا قنوط من بلوغه والفوز به.

وبما أنَّه لا مأمول بلا أمل؛ إذن فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمولات ثم نيلها؛ ولذا فالآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا، أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا، أو معرفةً، أو بناءً، وإعمارًا، وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا

لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظُّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالأمل الرّفيع يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميَّة الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها. ولهذا:

وضوح الأمل يؤدِّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدِّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

. ولّد في نفسك وعقلك أملا من ورائه مأمولات.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم، وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة، ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة، ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أي مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز، ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى؛ فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تُصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آملٌ، وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنَّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جديدة لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ الصّعوبة تكون في البداية، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والآمال تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنَّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم؛ ولهذا لا ينبغي أن تكون أهداف الآمل غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاء).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّما نال بنو آدم مأمولا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهميَّة، ووراء كلّ مأمول غرض، من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية، ومن ورائها غاية مأمولة.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، بعض النَّاس يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله، وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات، وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاء ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض، تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراضٌ تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد

قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولٌ يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقًا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا، حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاءً.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة، والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسًا على عقبٍ، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمالًا قابلة لأن تنال.

وعليه فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصًا وعملًا جادًا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن

يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائما في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا؛ فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدّية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النَّفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسًا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

ومن هنا فالأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله؛ فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصيَّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولًا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) فإنَّه لا يكون إلّا خلقًا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشَّهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنَّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، فإنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمَّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا

مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيم ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[4].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمَّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيا والنوايا فرديَّة؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فرديَّة وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي

[4] الأنعام 135.

بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذَّات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطّع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة. وعليه فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمَّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة

الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتا، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيلة وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقٍّ بالرّغم من توقّعه.

وحدة المعلوماتُ الصَّائبة حُجَّة تساند وترابط:

طرق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة كلَّها تهتم بالدِّراسة الموضوعيَّة، التي تكون معلوماتها خاضعة للتحليل العلمي، والتحليل المنطقي حُجَّة من بعد حُجَّة، وبرهان من بعد برهان، حتى التوصّل إلى نتائج تمكّن من الإصلاح وإيجاد الحلول.

ولهذا فالمعلومات الصَّائبة شواهد موضوعيَّة صحيحة ترشد إلى المعرفة الواعية، وكشف الحقائق كما هي، ومعرفة المجهول عن وعي، وهي حُجَّة تمكّن من المجادلة صوابًّا، والتجادل بها لا يكون إلّا عن قناعة بالموضوع أو القضية التي من وراء حُجّتها حُجج أعظم.

ومن ثمّ فأصحاب الحُجج تطوُّرًا يسعون إلى إحداث النُّقلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قمّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجَّة يشذّ إلى الخلف إعاقة، وبين هذا وذاك؛ فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء ولا تطوّر لأحد ما لم يؤخذ بالحُجَّة ارتقاء واستيعابا، ولا استثناء لأحد بأيّة علّة، إلّا

إذا كان أحد علّة في ذاته، ولا استغراب إذ لكلّ قاعدة شواذ، ومع ذلك، الحُجَّة الجدباء لا تصمد أمام الحُجَّة الحلّ التي تعلو بأصحابها تطوُّرًا وارتقاء إلى ما يمكّن من المعرفة، التي بها سترتق الأرض والسّماوات كما كانت أوّل مرّة.

ولأنّها المحاجّة، وفيها من المجادلة ما فيها؛ فهي لا تكون إلّا بالتي هي أحسن: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[5]؛ أي: لا ينبغي أن تكون المجادلة بالتي هي أسوأ؛ فالأسوأ لا يقود إلّا للخلاف والصّدام والاقتتال؛ فيلد الألم ألما.

وحتى لا يسود الألم بين النَّاس ينبغي الأخذ بمبدأ المحاجّة والمجادلة حرصًا وتطوُّرًا وارتقاء، ويجب أن تبدأ المحاجّة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا؛ فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقا هو المأمول الذي من أجله تجري المحاجّة بالتي هي أحسن، أمّا المجادلة غِلظة؛ فلا تكون إلّا مع من يستغلظ على الحقّ بغير حقّ، وهنا، يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلظة بغلظة) ومع ذلك؛ فللعفو والصّفح مكانة لا يبلغها إلّا من تدبّر أمره حكمة.

ولأنَّ الجدل بالتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي أن تكون أساليبه على الترغيب والتشويق والنّهي والرّهبة والتحذير والإنذار مع مراعاة الفروق الفردية بين المجادلين ارتقاء؛ ففي الجدل الرسائل تُرسل بين المجادلين

[5] العنكبوت 46.

لكلٍّ حسب ما هو عليه من معرفةٍ، وثقافةٍ، ومعتقدٍ، ومنّطقٍ، مع عدم إغفال أهمية الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنّه خُلق من نطفة، ولكنّه خصيم، ولهذا؛ فهو مجادل، ولأنّه كذلك؛ فمن حقّه أن يجادل، ولكن حرصا وتطوُّرًا وارتقاء ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلّما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب النَّاس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه.

ولذلك فالجدل تطوُّرًا وارتقاء لا ينفصل عن الحُجَّة، مع أنَّ الحُجَّة أساسًا هي معلومة مستقلّة بذاتها، وستظل إلى أن تُستخدم أو تُوظّف جدلًا، بما يقرّ حقًّا أو يؤدِّي واجبًا، أو يُمكّن من حمْل مسؤوليَّة، ومن ثمّ، فالحُجَّة تُفحِم أو تُلزِم من كان على غير حُجَّة حتى يُغيّر ما بنفسه، ومن هنا، تلد الموعظة والعبرة ارتقاء. وفي المقابل الجدل غِلظة يدخل المجادلين في حلقة الصّدام الذي كلّما انتهى بدأ.

ولأنَّ الجدل بالتي هي أحسن جدل حُجَّة؛ فينبغي أن يكون على اللين مع تبيان الدّليل والبرهان شاهدا بين أيدي المتخالفين، ولنا في إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام القدوة الحسنة حينما جادل أباه آزر وهو يخاطبه بقوله، {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[6]؛ فقوله وهو يجادله رأفة وودّا: (يَا أَبَتِ) وهو يكررها مرات (يَا أَبَتِ)، هي: بهدف صحوة أبيه آزر من الغفلة التي ألمت به، والجهل الذي استحوذ على عقله، وبخاصّة أنّ إبراهيم لم يخفِ علمه وحرصه ومحبّته له، ولذلك؛ كان ارتقاء إبراهيم مؤسّسا على عدم الإكراه؛ فالإكراه هو: حُجَّة من ليس له حُجَّة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[7].

ولأنَّه الجدل حُجَّة؛ فهو لا يكون إلّا عن صبر، وسعة صدر، بهدف استيعاب المختلفين، وأخذ الحجر من أيديهم التي به امتلأت؛ ولذا ينبغي أن يمتلك المجادل المقدرة على استجلاب الدلائل والبراهين لإثبات قضيّته، وفكّ القيد عنها، مع فكّ اللبس والغموض عمّا يستخدمه من مفاهيم. وفي هذا الشأن أتذكّر تلك المجادلة التي جرت بين النبي إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام ومن حاجّه في ربّه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}[8]؛ فاللبس في ذهن من جادل إبراهيم في ربّه كان متعلّقا بمفهوم الإحياء والإماتة؛ فإبراهيم قال: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، وفي المقابل كان قول المجادل: (أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ). واللبس هو: أنّ إبراهيم يجادل بحُجَّة من يحيي ويميت، وفي المقابل فهم المجادل أنَّ الإماتة هي القتل، ولهذا أجابه بقوله:

---

[6] مريم 42 . 45.

[7] يونس 99.

[8] البقرة 258.

(أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) أي: وكأنّه يقول: إذا أردت أن أقتل أحدًا قتلته، وإذا أردت عدم قتله تركته حيّا. ولكنّ الفرق كبير بين القتل الذي يكون على أيدي المتقاتلين أو القتلة، وبين الموت الذي لا يكون إلّا بيد الله تعالى.

إذن: الحُجَّة يمكن أن تكون مُعجزة تفحم المجادل بغير حُجَّة، {قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}[9]، وفي المقابل يمكن أن تكون حلّا، ويمكن أن تكون موعظة، ويمكن أن تكون عبرة، ويمكن أن تكون دليلا ملاحظا أو مشاهدا (قولا وعملا وفعلا وسُلوكًا) {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا}[10].

وعليه:

فالجدل هو: التوجُّه للنَّاس بالحُجَّة تطوُّرًا وارتقاءً، وهي الحُجَّة التي لا تقبل التنازلات، ذلك لأنَّ الحُجَّة ينبغي أن يؤخذ بها، أمّا التفاوض فلا ينتهي إلّا بتقديم التنازل الذي من ورائه تنازلات.

ولذلك فالمجادلة تطوُّرًا وارتقاء فيها مكابدة وعُسرة، وهي في معظم الأحيان تستدعي تقديم المزيد من الحُجج الدّامغة التي لا تستفزّ أحدا، وبتقديم المزيد من الحجج ينبغي أن ينبهر الخصم بما يجذبه إلى الحقّ حُجَّة من بعد حُجَّة.

---

[9] البقرة 158.

[10] يوسف 26.

ومن ثمّ فالصّبر حُجَّة المتجادلين؛ فعليهم به دون استرخاء، ولا داعي للقلق حتى وإن كانت الاستفزازات من ورائه، بل كلّما طال زمن التجادل والصّبر لم يفارق المتجادلون حُجَّة بحُجَّة كلّما اختنقت أنفاس من لا حُجَّة له.

ففي المجادلة إصرار، وعدم إعطاء الفرصة لمن يريد أن ينهي الجدل قبل الوصول إلى نتائج مقنعة، أمَّا الحوار فقد لا تكون فيه مكابدة، والمتجادلون عندما يفقدون قواعد الرّكون إلى المحاجّة المنطقية، قد يضطرون إلى الخصام الذي لا طائل من ورائه إلّا الخلاف والفرقة؛ فيصبح كلّ شيء ممكنا سواء أكان متوقّعا أم غير متوقّع.

وعندما تغيب الحُجَّة بين المتجادلين ارتقاء، يصبح المجال بينهم مفسوحا للخصام والاقتتال؛ فالجدل وما فيه من شدّة يعد هو منطق السّلام، الذي إن لم يؤخذ به قد تصبح مصارف الدّم بين النَّاس في حاجة للمزيد.

فالمحاجّة تطوُّرًا وارتقاء ليست نقاشًا بلا دراية، ولا مفاوضات بلا خبرة ولا مهارة، بل المحاجّة تحاور يتكئ على حُجج بيّنة بغرض تنقية الشوائب التي نُسجت بين المتخالفين أو المختلفين، الذين يميلون عن صائبة المطلب والقول بعلل فيها علّة.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه خُلق ليجد نفسه بين قيم حميدة وفضائل خيّرة، وبين استفزاز الحاجات المتطوّرة في

مقابل قصور مشبعاتها؛ ممّا يدعوه إلى قبول التكيّف بتنازلات، أو أن ينتظر زمن التوافق الذي قد يطول ويجعله على غير أملٍ.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء مقوّما، فإنَّهُ لم يُخلق نسخة واحدة وكأنّه أوراق سحب، بل لكلٍّ خصوصيته التي بها يتميّز عن غيره كما يتميّز غيره عنه؛ فالنَّاس مختلفون، ولكلّ بصمته الخاصَّة التي لا تتكرّر: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[11]؛ فما أعظم هذه الآية (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي: مع أنّهم من نفس واحدة فإنَّهم لا يتطابقون وإن تماثلوا صفة؛ فهم مختلفون بصمة ومقدرة وتذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، ولهذا؛ فهم يختلفون، وسيظلون مختلفين (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، أي: أنّهم خُلقوا على الاختلاف الذي جعلهم في حاجة لحشد الطّاقات إذ لا إمكانية للتطوّر والبقاء بغير الاختلاف.

ولأنَّهم خلقوا على الاختلاف؛ فهم في حاجة لِما يجمع شملهم متى ما اختلفوا، أو تخالفوا؛ فالمحاجّة والجدل جهود تُبذل لإظهار الحقيقة التي لا تكون إلّا بامتلاك السّند الذي يَحتكم به ويُحتكم إليه، ومع ذلك تختلف المجادلة عن المحاجة من حيث كون المجادلة تتمركز على التمسّك بالحُجَّة دون تفريط ولا يأس ولا قنوط، أمّا المحاجّة فالأمر يقتصر على تقديم الحُجَّة لتكون شاهدة على القضية، ولمن شاء أن يحكم بها عدلا؛ فليحكم.

[11] هود 118، 119.

ومع أنَّ الجدال حُجَّة تسنده الحقائق، ولكن عبر العصور لم تكن الحُجَّة هي الحُجَّة؛ فهناك من يعتقد أنّ تفسيره للمعلومة هو الحقيقة في الوقت الذي لا يميّز فيه صاحبها بين الحقيقة كونها معلومة أو نتيجة، وبين ما يتراءى له تفسيرا ليس إلّا؛ ففي تلك الأزمنة الأسطوريّة كانت الثَّقافة شفويّة، فيها من الخيال والخرافة ما فيها، وفيها من البطولات الكلامية بغير بطولات ما فيها، فيها الحقائق تزوّر، والأكاذيب تسوّق، والأنا شاهد على كلّ الشواهد، أمّا كفّة ميزان الغير فهي على الدّونية، في الوقت الذي فيه الغير قد لا يكون كذلك.

إنّه العصر الذي سادت فيه الحكاية والسّرد الخيالي، واللجوء إلى مظاهر الطبيعة الكونية، وكأنّها كما يراها اليوم العالم الفيزيائي ستيفن هوكنيغ خالقة لا مخلوقة، وبالتوقّف عند هذه العلّة تفحُّصا نلاحظ وكأنّ زمن الأسطورة ليس ببعيد عن زمننا، حيث انعدام وجود الحُجَّة دليلا شاهدا بين أيدي النَّاس.

ففي ذلك الزّمان كانت المبالغة الكلاميّة هي سيّدة المواقف، حيث وصل الحال بمن يجهل الحقيقة إذا حكى عنها وأُخذ بحكيه كان حكيه وكأنّه الدّليل والحُجَّة. ومن هنا، قد يأخذ البعض بتفسير العالم الفيزيائي ستيفن هوكنيغ مع أنّه بلا دليل، ولا شاهد علمي، سوى الاستنتاج تفسيرا.

وفي المقابل تفسير العقل والمبدأ تصحبه الدقّة في التعبير مع الأخذ بالمفاهيم الفاصلة بين المتشابهات والمتقاربات في الصّفات والخصائص.

ولأنَّ التفسير العقلي نقدي؛ فهو يعتمد على البرهان المنطقي (مقدمات ونتائج صادقة)، وهو لا يقبل بتفسير المعلومات المشكوك في أمرها، ومن يقدم على تفسير المعلومات قبل أن تحلّل متغيراتها وتبلغ نتائجها فهو كمن يفسّر الماء بالماء، ومن ثمّ؛ فلا يكون التفسير إلّا عاكسًا لوجهة نظر المفسّر؛ ولهذا فالمعلومات غير قابلة للتفسير، أمَّا النتائج فتفسّر؛ ولذا فمن يفسّر المعلومات قبل أن تُخضع للتحليل فمهما بلغ من نتائج فنتائجه غير موثوقة.

ولذلك فتفسير المعلومات قبل أن تحلّل متغيراتها يكون أقرب إلى التفسير الأسطوري الذي يعتمد على القصّ (الحكي) الشفوي الإغرائي مع سيطرة الخيال على الموضوع قيد الحوار أو المحاجّة، وفي المقابل التفسير العلمي يعتمد على الدّقة الموضوعيَّة مع تقديم الحجج وإجراء التجارب في الميادين الاجتماعيَّة أو في المعامل والمختبرات، ولهذا؛ فالعلاقة بين التفكير الأسطوري والعلمي والفلسفي علاقة تضاد وتنافر وتعارض، ومن هنا فالحجج قابلة للقياس الذي يزيل الشكّ عنها[12].

وحدة القدوة تساندًا وترابطًا:

الشخصيَّة القدوة هي التي لم تغفل عن تلك القيم التي رسّخت أفعال وأعمال على أيدي قامت بها، وكانت مثال لأداء الأعمال الموجبة ذات التَّاريخ المرسّخ للذات العامّة والهويَّات المشتركة.

[12] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 218 – 229.

ولذا فالاقتداء اتباع لِسُبل بيّنة، ذات معاني ودلالات تطمئن الآخذين بها إذا ما اقتدوا بما يرشد إليها وجوبا؛ ذلك لأنَّ الاقتداء ارتقاء لا يؤدِّي إلّا لموجب، وفي المقابل الاقتداء انحدار لا يؤدِّي إلّا لسالبٍ، ومن هنا يتولّد الحوار بين ما يؤدِّي إلى الارتقاء، وبين ما يؤدِّي إلى الانحدار؛ فالذي يؤدِّي إلى الارتقاء لا غاية من ورائه إلّا اتباع الحقّ، والاقتداء به، وبمن يتّخذه سلوكًا وعملًا مفعولًا، أي إنّ الاقتداء بالنسبة للشخصيَّة المقتدية هو الذي لا يخضع للبيع والشِّراء؛ ذلك لأنَّها ترى أنَّ ما يباع ويشترى يُدخِل أصحابه في خانة التبعيّة والانقياد وفقًا للثّمن المباع به أو الثّمن المشترى به؛ فالاقتداء ارتقاء يستوجب اتباع الحقّ الذي لا يضع مُتّبعيه في خانة الدونيَّة: {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[13]، بمعنى: اتبعوا من جاء من أجلكم دون أن يسألكم مقابلًا، أي: اقتدوا بمن يراكم قيمة في ذاتكم لا من لا يراكم إلّا بما تقدّموه بيعًا أو شراءً.

ولذلك فالاقتداء الحسن قوّة لا يكون إلّا من قِبل الذين لهم من العزيمة ما لهم، ولهم من الآمال الحسنة ما لهم، وفي المقابل لا يؤدِّي إلى الانحدار إلّا الضّعف الذي له من القيم السّلبية ما له، كالشَّهوة، والشّخصانيَّة، والطّمع، والاتّكاليَّة والنّفاق والجبن والخيانة، ومن ثمّ فالاقتداء لا يكون اتباعًا إلّا عن رغبة وإرادة.

[13] يس 21.

ولهذا فالاقتداء بالنسبة إلى لشخصيَّة القدوة هو الاتباع الذي لا يكون إلّا بتوفّر الحُجَّة المحقّة للحقّ والمدحضة للباطل، وهو لم يكن تقليدًا مورّثًا بغير حُجّة؛ ذلك لأنّ التقليد المورّث في بعض الأحيان لا يزيد أصحابه إلّا دونيَّة وانحدارًا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}[14] ومع ذلك فالذين لا حجّة لهم، هم الذين يجب حوارهم وجدالهم حتى يتحرّروا من قيود التقليد الحائل بينهم وبين الارتقاء؛ ولذلك فاتباع العقل اتباع قدوة وحُجّة، وليس اتباع موروث وأشخاص؛ فالموروث الذي لا يُمكّن من أخذ المواعظ والعبر من التَّاريخ، هو مورث مُفلس؛ حيث لا قيمة، وهذا الأمر يجعل البعض كمن يلكّ العلكة ثم يخرجها من فمه ليتركها لمن بعده لعلّه يلكّها، وهذا ما يؤدِّي إليه التقليد المفسد للقيم، وإن لم يدرك هؤلاء بعض النّاس مخاطر ومفاسد التقليد عن غير دراية، سيجدون أنفسهم يعيشون عصرا قد تجاوزته العصور: {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[15].

فالتقليد الذي ينبغي الأخذ به، هو الممكّن من تجاوز ما يؤلم، أو ما ينذر بألم، وهنا وجب التمييز بين ما يمكن أن يكون تقليدًا لإظهار القدوة الحسنة، وبين ما هو أهواء بمبررات مجهولة: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[16]؛ فينبغي أن يكون التقليد والاتباع للفضائل الخيّرة والقيم

---

[14] الزخرف 22.

[15] الأعراف 142.

[16] الجاثية 18.

الحميدة، والنّاس القدوة، كما كان إبراهيم الذي وُصِفت قدوته بالأمّة: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}[17]، أي فمن أراد أن يكون قدوة حسنة؛ فعليه أن يستوعب القيم الحميدة للأمّة كلّها، ثم يجسّدها في سلوكه كما جسّدها إبراهيم عليه السلام، لتكون من بعده بين أيدي النّاس رحمة تجمع الشّمل على الكلمة السّواء.

فالاقتداء الذي ينبغي أن يتّبع هو الذي أساسه الحُجَّة الفاصلة بين الحقّ والباطل، وليس تقليدًا للأفراد في ذواتهم؛ ذلك لأنَّ الفضائل والقيم تبقى، أمّا النّاس فزائلون: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[18]. أي اتبعوا ما يبقيكم على المكانة والرّفعة، ولا تتبعوا الزَّائلين، وإن أردتم أن تكونوا قدوة حسنة وخلائف في الأرض؛ فخذوا ما أمر الله به ارتقاء؛ لتجعلوه تقليدا لمن خَلفَكم، وهو التقليد الذي يمكّن مَّن خلفكم مِن تنظيم حياتهم على المحبّة والوفاق، ويمكّنهم من العمل المنتج بلا مظالم.

ومع أنّ الاقتداء بالفضائل لا يكون إلّا في مرضات الله، ولكن حتى وإن أخذ الإنسان بكلّ ما قاله الله؛ فلا يمكن له أن يكون الله، بل يكون قدوة حسنة في مرضاة الله، وهو الذي خُلق الإنسان من أجله، وإلّا هل هناك من يظن أنّ الخالق قد خَلق العباد لمعصيته؟

---

[17] النحل 120.

[18] الأعراف 3.

وكذلك وإن أخذ الإنسان بكلّ ما جاءت به الرّسُل؛ فلا إمكانيَّة لأن يصبح أحدٌ رسولًا، ولكن تقليدًا بإمكانه أن يكون قدوة حسنة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[19].

ولهذا فالتقليد الحسن يجعل من المقلِّد قدوة حسنة، وفي المقابل التقليد السّيء، لا يجعل من صاحبه إلّا سيئا؛ ومهما بلغ التابعون من التقليد؛ فلن يكونوا مبدعين إن اقتصر تفكيرهم على التقليد فقط؛ ولذا فالقدوة الحسنة يمكن أن يكون من الذين قضوا نحبهم كما هو حال الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}[20]، وكما هو حال رجالات التَّاريخ مثل الشيخ عمر المختار، والشيخ عبد القادر الجزائري وغيرهم كثير؛ فهؤلاء ومن كان مثلهم مع أنّهم ليسوا على قيد الحياة، ولكنّهم خير قدوة، ولكلّ رسالته التي بقيت حُجّة بين أيدي المقتدين به.

أمّا القدوة على قيد الحياة فإلى جانب كونه قدوة فضائل وقيم، ولكن ينبغي أن يضيف إلى ما جعله قدوة، ما يجعله قدوة أكثر ارتقاء، وهكذا يصبح الاقتداء من حسنٍ إلى ما هو أحسن من أجل بلوغ القمّة قيما وفضائل.

---

[19] الأحزاب 21.

[20] الممتحنة 4.

ومع أنّ التقليد لا يكون إلّا لسَابقٍ، فإنَّه دائمًا من أجل الارتقاء الحسن يتجدّد، والتقليد ارتقاء دائمًا للأحسن حتى وإن جاء ممّن هو أقل مكانة، كما هو حال ابن آدم الذي كان الغراب أكثر منه معرفة بما يُمكن أن يُقلّد؛ فابن آدم الذي قَتل أخاه ولم يكن يعرف كيف يواري سوءته، وقف عاجزًا في حيرة من أمره إلى أن بعث الله غرابًا ليريه كيف يواري سوءة أخيه: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي}[21].

إذن: التقليد ارتقاء بالنسبة إلى الشخصيَّة القدوة لا يكون إلّا بالمعرفة المرشدة لما هو أفضل، وممّن تكون؛ فالأشخاص لو لم تكن لديهم المعرفة الكافية والواعية؛ فلا إمكانيّة لأخذهم قدوة، وعندما يفتقر الإنسان إلى المعرفة الحسنة؛ فلا إمكانيّة لأن يكون قدوة، ومن هنا فمن تكون له المعرفة ارتقاء يكون قدوة حسنة[22].

ومن ثمّ فالأخذ بالقيم والفضائل تقليد يخلق القدوة الحسنة التي تأخذ بالاقتداء والاعتزاز الذي يجعل للإنسان قيمة؛ فالأبناء أوّل من يقتدون به قدوة هم آباؤهم إن كانوا قدوة، ومدرسوهم إن كانوا قدوة، ثمّ ينضجون بحثًا عن مكانة تليق بهم وفقًا لما يأملونه ارتقاءً؛ ولذلك فالقدوة الحسنة تترك أثرًا طيّبًا لدى الأجيال، في مقابل ما تتركه القدوة السيّئة من أثر غير

---

[21] المائدة 31.

[22] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون، ص262 . 266.

حميد؛ فمن يقتدي بالقول والسّلوك والفعل والعمل الطيّب يجد نفسه مقتديًا بما هو مرغوب فيه قيمة وفضيلة، ومن يقتدي بغير ذلك سيجد نفسه على غير قيم حميدة ولا فضائل خيّرة؛ فالقدوة الحسنة تبقى قدوة حتى وإنْ انتهى أصحابها؛ فالأنبياء كونهم قدوة حسنة هم أحياء (حجّة وعقيدة، وفعل وعمل وسلوك)، وهكذا رجالات التَّاريخ وصنّاعه قدوة.

وعليه:

فالمربّي يكون قدوة حسنة، متى ما نقل للنشء تجاربه الموجبة، وخبراته النّافعة، وقيم المهنة الرّاقية، وفضائل المجتمع الخيّرة، وفي المقابل قد يكون قدوة سالبة إذا لم يتطابق قوله وسلوكه وفعله وعمله مع أخلاق المهنة وقيم المجتمع وما ترتضيه الإنسانيَّة.

وهكذا المعلّم قدوة حسنة، متى ما نجح في حمْل المعلومة المتجدّدة ارتقاء، وكذلك الأم قدوة حسنة موجبة، متى ما نجحت ارتقاء في غرس مشاعر الأمومة في أبنائها، وفي المقابل تكون قدوة سيئة متى ما انحرفت منهجا وخُلقا وسلوكا، وكذلك الأب يظل قدوة حسنة متى ما غرس عاطفة الأبوة في أبنائه جنبا إلى جنب مع قيم المجتمع المفضّلة، ويكون قدوة سلبية متى ما انحرف عمّا تفضّله الإنسانيَّة من قيم.

وبما أنَّ القدوة الحسنة حلقة وصل تربط الأجداد بالأحفاد، إذًا فتواصل الأجيال يتطلّب القدوة، وتواصل الحاضر مع الماضي يتطلّب

الذّاكرة، وهكذا تواصل الحاضر مع المستقبل يتطلّب الأمل الذي تحفّزه القدوة الحسنة لما يجب أن يكون عليه ارتقاء.

وحدة صُنع المستقبل تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ المستقبل لا يكون إلَّا في الزّمن الآتي بعد كلِّ قول أو فعل أو عمل، فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا في الوقت الآن؛ ولذا فصُنَّاع النُّقلة من الممارسين المهنيين والأخصائيين الاجتماعيين يعملون ليلًا نهارًا من أجل تحقيقها عملًا به تتغير الأحوال من مستوياتها الدُّنيا إلى المستويات المأمولة رفعة.

ومن هنا فصُنع المستقبل بالنسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو تَفكير وتخطيط وعمل مُضني بغاية إحداث النُّقلة إلى الأفضل والأجود مما عليه الإنسان في زمنه الحاضر إلى مستقبلٍ يأمله وهو الأرفع مما هو عليه من أحوال علميَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة ونفسيَّة وأخلاقيَّة، ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعيّة، فهو الممكِّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة (الذاتيَّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنفسيّة والذَّوقيَّة والثَّقافيَّة، كما يعتمد على التعليم والتعلّم استطلاعًا لإحداث نُقلة عظيمة تغيّر الأحوال إلى أحوال مملوءة منفعة وطمأنينة مع وافر الرّضا.

ولهذا فالقاعدة هي:

. العمل على تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. البقاء على حالة من التخلّف.

ولذا فالاعتراف بما يُبذل من جهود، يؤدِّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيّة والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهميّة العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنَّ التقدير قيمة رفيعة وكذلك الاعتراف قيمة رفيعة بين النَّاس الذين يميّزون بين ما يجب وما لا يجب، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ أخلاقي وإنساني، وهنا يقول فرنسيس فوكو ياما: إنَّ الرَّغبة في الاعتراف والتقدير المحركان للتاريخ هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك يؤكد هيجل كيف أنَّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التَّاريخ في معركة دمويَّة من أجل المنزلة والمكانة الرفيعة.

ولأنّ التقدير والاعتراف يمكّنان من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدّمه له قيمة؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبوديّة، يأمل أن يكون سيّده راضيًا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل

التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنَّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد، وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثَّقافيَّة والعلميّة والجماليّة) فهؤلاء جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي؛ إذ لا نُقلة بدون اعتراف وتقدير لما يجب ولمن يجب.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمّية التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

- كن إيجابيًّا لتنل التقدير والاعتراف.
- كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أنَّ الاعتراف يحقق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. ثق أنَّك لن تحدث النُّقلة بدون جهود تعاضدك.

. ثق أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام التحدّي نُقلة.

. ثق أنَّ صُنع المستقبل نُقلة لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر.

. ثق أنَّ الصّبر على تحدي الصّعاب يهزمها، ويحدث النُّقلة.

. ثق أنَّك بالاعتراف والتقدير تنال الاحترام وتزال من أمامك المعوقات.

وعليه ينبغي على المسئولين أنْ لا يغفلوا عن:

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوّعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيّات لمجتمعاتهم أو دولهم أو لوضع رؤية مع الغير.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنَّهم مفردات أساسيّة في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسئوليَّات ينبغي أن تُحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معًا) من أجل إحداث النُّقلة للجميع.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهميّة هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم تحت مظلة الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدّفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبُّلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد أخلاقيّة وأبعاد إنسانيّة جليلة.

. ضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة، وبين أصحاب الحاجات المنقوصة والحاجات المشبعة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد، والنُّقلة العظيمة لا تكون إلَّا بالجميع ومن أجل الجميع.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابيَّة التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة بغاية إحداث النُّقلة رفعة إنسانيَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الثَّقافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن، والعمل على إشباعها ونقلهم مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه نُقلة.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم، أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين)؛ ولذا فلا إمكانيَّة لتحقيق النُّقلة ما لم يتمكن الجميع من المشاركة البناءة.

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الديمقراطيّة بشفافيَّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول نُقلة.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنيّة رفعة.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة الممكن من إحداث التغيير وبلوغ النُّقلة علمًا ومعرفةً ودرايةً.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيّات قانونًا ودستورًا؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة، للتعرّف على المتغيرات المستحدثة، التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الإستراتيجيّات التي تحقق النُّقلة ورفعة الشأن للفرد والجماعة والمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء مع وافر المحبَّة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليّة؛ تحقيقًا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع المشتركة.

. ترسيخ لغة ومفهوم (النحن)، حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، ومن ثمَّ فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثّقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرِّيَّة ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشَّفافيَّة ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم حجّة إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم

حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، وأنا صاحب السُّلطة ومالك الثروة، وأنت الذي استولى عليهما بغير حقّ؛ فأرحل خير لك من أن ترّحل؛ ولذا فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ وفي المقابل نحن معًا نحدث النُّقلة.

من هنا تتَّضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

- استوعب النَّاس يتم استيعابك.
- اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.
- قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.
- عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.
- عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.
- اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركًا.
- تفهَّم ظروف النَّاس يتم تفهّم ظروفك.

. التفت للنَّاس يلتفتون إليك، وفي المقابل إن أعطيتهم بظهرك فلن تجد إلّا ظهورهم في وجهك.

ولأنَّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميّة التمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء والتهميش.

ولهذا من أجل إحداث النُّقلة ينبغي أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمراريّة علائقيّة.

. الشَّفافيَّة وضوح في القول والفعل.

. الأخذ بما يجب يمكّن من إحقاق الحقّ.

. إحقاق الحقّ يمكّن من إحداث النُّقلة.

وعليه:

إنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيّة يؤدِّي إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدث النُّقلة؛ أمّا إهمالها فيؤدِّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدِّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظُّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنفسيّة والذَّوقيَّة والثَّقافيَّة، فهذه الظُّروف من طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفرديَّة، والفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقًا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعيَّة؛ فإنَّ اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكًا بالقواسم المشتركة بين

الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي ينبغي دفعها إلى صُنع المستقبل بنُقلة بها تتغير الأحوال إلى ما يفيد وينفع ويعظم المكانة ويرسخ السيادة الوطنيَّة.

وحدة التّوافقُ تساندًا وترابطًا:

التوافق قيمة لا تكون سائدة بين النَّاس إلَّا رغبة وإرادة؛ ولذا يعد التوافق تماثل إرادي بين الأنا والآخر، ولا يمكن بلوغه إلَّا بِنُقلة من حالة التكيّف والرِّضا بالأمر الواقع إلى ما من شأنه أن يُمكِّن من الانسجام توافقًا، ومع أنَّه نُقلة فإنَّ بلوغها وإن كان في دائرة الممكن فهو ليس بالأمر الهيّن، والتّوافق لا يكون إلّا بتطابق المطلب مع الرّغبة، وتطابق الحاجة المتطوّرة مع مشبعاتها المتنوّعة وظروفها الموضوعيّة، وهو المحقّق للرّضا دون تقديم تنازلات بغير حقّ.

ومن هنا فالتّوافق انسجام إرادي، تتطابق به الأقوال والأفعال مع الموضوع بين الأنا والآخر، ويحقّق انسجامًا وتطابقًا بين أراء وأفكار ووجهات نظر المشاركين في الموضوع الواحد؛ ممّا يجعل المشاركة بين الطّرفين أو حتى الأطراف موجبة لتساوي كفّة التوافق إرادة.

ومع أنَّ التّوافق واحد، إلّا أنَّ للتوافق أنواعًا موضوعيّة كتوافق الزّمن مع الزّمن، وتوافق المكان مع المكان، وتوافق الظّرف مع الظّرف، وتوافق الودِّ مع الودِّ، وتوافق الظّلم مع الظّلم، وهكذا التّوافق لا يتعدّد ومواضعه ومعطياته تتعدّد، حتَّى في القصاص لا حلَّ للمشكل ولا حكم فيه عدلًا

إلّا بالتّوافق: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[23].

ولكن متى سيكون التّوافق نُقلة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؟

. عندما يكون للمتوافقين رؤية لمستقبل أعظم.

. عندما يكون للمتوافقين مشروع نهضة يُمكِّن من نيل المأمولات بناء واعمارا.

. عندما تمارس الحرِّيَّة دون أن يمتد أحد على حساب حريّة الغير.

. بعد أن ينتهوا عن أعمال الإفساد ولا يعتدون.

. بعد أن تسود بينهم فضائل وقيم المودّة.

. بعد أن يقدّروا الغير احترامًا واعتبارًا وأن يتقبلوا ويتفهموا ظروفهم ثمّ يستوعبونهم (كما هم) من أجل مستقبل إنساني يأمله الجميع.

. بعد أن يلغوا من قواميسهم الفكريّة أفعال الحرمان والهيمنة والإقصاء.

. بعد أن تصبح العدالة هي الحكم فيما هم فيه مختلفون.

. بعد أنْ يُصَحِّحوا المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، وكذلك عندما لا يتمسّكون بوجوبيّة تماثل القيمة مع الواقع وكأنَّ القيم تمتلك مطلقيّة الثّبات؛ ولذا في بعض الأحيان الواقع يتقدَّم على القيم ممّا يستوجب

[23] المائدة 45.

العمل على تقييم القيم وتقويمها لكي تواكب حركة التغيّر والتقدّم نُقلة إلى الأفضل والأجود والأنفع، وفي البعض الآخر الواقع يتخلّف كثيرًا عن معطيات القيم ممّا يستوجب عدم الرّكون إلى الواقع المتخلّف والتمسّك بالقيم المستمدّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة.

ولأنَّه التوافق نُقلة من ذلك التكيُّف إلى الرفعة المأمولة فيجب أن يُقبل ويتم الإقدام عليه ولا يرفض؛ ذلك لأنَّ الرّفض يتعلّق بما يكره؛ إذ لا عدالة، بل في كثير من الأحيان تكون الغاية من الرّفض بلوغ التوافق بين الأنا والآخر، ومن هنا فالرّفض للظلم خير يجعل النَّاس متحابّين على الحقّ والعدل نُقلة.

إذن: التوافق قيمة نفسيَّة واجتماعيَّة وإنسانيَّة إذا سادت بين النَّاس كانت دليلًا على انتشار الودّ بينهم نُقلة، وإذا انعدمت قيمة التوافق لن يكون الود إلّا في خبر كان.

ولهذا فمتى ما انتهت الخلافات بين النَّاس سادت بينهم المودّة والمحبَّة، ولكن إن سادت بينهم المظالم وعمّت تماثلوا في ارتكابها، ومع أنَّ النّاس يتماثلون في ارتكاب المظالم، ولكنّهم لا يتّفقوا ولا يتوافقوا على ارتكابها، ولهذا فهم مختلفون ويظلوا كذلك إلّا من رحم ربّك.

والتساؤل:

ما هي مُحقّقات التوافق نُقلة؟

أقول:

كثيرة، ومنها:

1 ـ تقبُّل الآخر وتقديره وتفهُّم ظروفه المتعدِّدة.

2 ـ استيعاب الآخر (هو كما هو) والعمل معه من أجل بلوغ ما هو أفضل للجميع.

3 ـ الاتّفاق في وجهات النَّظر أو القرار أو الفعل أو العمل المشترك، دون ضغوط من احدٍ على أحدٍ.

4 ـ عدم تقديم التنازلات على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليّات.

ومن هنا فالتوافق لا يكون إلّا بين العقلاء، أمَّا التكيّف فينسحب على العقلاء وغيرهم كالمكان والأشياء التي نتكيّف معها ولا نتوافق معها على الرّغم من اشتراك المفهومين بمعطيات كثيرة؛ ذلك أنَّ المتكيّف غالبًا ما يكون اهتمامه ماديًّا، أمَّا المتوافق فاهتمامه ينصبّ على الجانب الرّوحي والعقلي والمعنوي من حيث الأفكار والمعتقدات والآراء والطموحات والآمال والنهضة المرجوة نُقلة.

إذن: للتوافق نُقلة جانب فكري عماده العقل، أمَّا التكيّف دونيَّة فلا يكون إلَّا ماديًّا والزمن كفيل بتغييره أو إحداث النُّقلة، كأن يتكيّف الإنسان مع الغُربة أو السّجن أو يتكيّف مع جلسة معيّنة تُفرض عليه بوضع معيّن

لمدّة محدّدة، فيجد نفسه مضّطر للتكيّف في فترة زمنيّة معيّنة لظرف خاصّ ليس له فيه رغبة ضمن بيئة فرضت نفسها عليه، ولهذا تنتفي فيه الرّغبة على الرّغم من القبول بالواقع، ومن هنا يكون التكيّف قائمًا على التنازلات، قلّتْ تلك التنازلات أم كثُرتْ، وبما أنَّ التكيّف لا يتمّ إلّا بتقديم التنازلات، ماديّة حينا بدفع ثمنٍ مادي، ومعنويّة حينًا آخر كأن يوضع الإنسان في موقف لا يرتضيه لنفسه مع القبول به، أو ينزل منزلة هي أدنى من منزلته فيتكيّف معها إلى حين انتهاء الظّرف والضّرورة. وفي المقابل التّوافق يقوم على الفكرة سواء أكانت مؤدّية إلى الرّفض أو القبول، انطلاقًا من إرادة ومبدأ يستهدف غاية مؤسّسة على الرّغبة والأمل، وهذه الرّغبة تدفع إلى بناء جسور التلاقي وإقامة علاقات قويّة مع الآخرين والتوافق معهم حجّةً وبرهانًا.

ومع أنَّ مِن غاية التوافق تحقيق التفاهم والتعاون والانسجام والسّلام المحدث للنُّقلة، فإنَّه في بعض الأحيان لا يتحقّق إلّا بإعداد العدّة المرهبة للخصوم، ومن هنا تظهر غاية من غايات الإرهاب التي تصبو إلى تحقيق الأمن والسّلام والطمأنينة في إقامة علاقات طيّبة بين فرد وآخر، أو بين مجتمع وآخر أقرب إلى التفاهم منه إلى الصّراعات والنزاعات.

وعليه: فالتوافق غاية إنسانيّة لا تكون سائدة بين النَّاس إلّا بتقدير قيمة الإنسان الذي من حقّه أن يقبل ويرفض، ويأمر وينهى، ويتكلّم ويعبّر، ويقرّر ويَقدِم على تنفيذ ما يقرّه دون أن يكون على حساب حقوق الآخرين

ومجالات امتدادهم؛ ولذا فمن حقّه الانتقاد كما من حقّه التقييم والمحاسبة والتقويم والتصحيح والإصلاح والبناء والإعمار، ولا يجوز لأحدٍ أن يقصيه أو يحرمه من أيّ حقٍّ من حقوقه، ومن يحاول ذلك ينبغي أن يزاح من الطّريق الذي لا يعبّد إلّا من أجل مستقبل الجميع دون فرقة ولا فوارق.

والتوافق لا يكون بين النَّاس نُقلة إلّا عن إرادة، ومتى ما بلغ النَّاس التوافق نُّقلة بلغوا الحلّ الذي يجد الإنسان نفسه به مقدّرًا ومعتبرًا، فقمّة السُّلطان على سبيل المثال: عندما يكون صوته صوت النَّاس يكون هذا الصّوت دليل التوافق التَّام بين الشّعب وقمّة السُّلطان نُقلة، وعندما تختلف الأصوات بين الشّعب وقمّة سلّم السُّلطان لن يعلو صوت على صوت الرّفض الذي ينقل أصحابه من التسليم بغير حقّ إلى العمل المحقّ له نُقلة ورفعة[24].

وحدة المنهج تساندًا وترابطًا:

تعتمد طرق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة على المنهج العلمي، الذي يعدّ تأطير للفكرة وفقًا لمعايير ومقاييس تضع المنهج موضع التقييم والاختبار من خلال النتائج المتوصَّل إليها، ومن ثمَّ فالمنهج ليس الطريقة كما يظن البعض أو يرى؛ ذلك لأنَّ المنهج نظري، أمَّا الطريقة إجراءٌ عملي: (خطوات تتبع، ولا تصدر أحكامها إلَّا عن مشاهدة تخضع المبحوث إلى المثول أمام الباحث، مع إحصاء المتنوّع والمتراكم وفقًا للمتغيّرات البحثيَّة).

[24] عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حرية، ص 84 . 92.

ولهذا؛ فللمنهج مجموعة من القواعد العلميَّة والمنطقيَّة بها يتمكّن الباحث من تفكيك المعلومات وتركيبها وربطها بموضوعيَّة، وبه تُنسجُ الأفكار وتُعرض التصورات المجسدة لها في السُّلوك والفعل.

يتم استنباط المنهج من المقروء والمسموع دون أن ينفصل عنه، فالمنهج هو: مجموع الأفكار التي بها يتم تعلم الكيفيَّة التي عليها الأمر أو التي سيؤول الأمر إليها بحثًا وعلمًا وقانونًا، وبالمنهج يتم التمكّن من معرفة الآتي:

- كيف نتعلَّم؟
- كيف نبحث؟
- كيف نصوغ لِما نبحث فروضًا؟
- كيف نصوغ لما نبحث تساؤلاتٍ؟
- كيف نسأل، وكيف نتساءل؟
- كيف نُفكِّر ونتدبَّر؟
- كيف نَنظم أفكارنا موضوعيّا، وكيف نَنظمها بالمعلومات تجاه إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات؟
- كيف نتابع قضيَّة علميَّة ونتمكن من تفكيك عناصرها وكشف خفاياها؟
- كيف نركِّب ما تم تفكيكه على قواعد قابلة للقياس والتقييم والتقويم؟

- كيف نحلل المتغيّرات المحمولة في المعلومات البحثيَّة؟
- كيف نشخِّصُ الحالة قيد البحث وفقًا للمعلومات التي تم تحليلها؟
- كيف نتمكَّن من بلوغ النتائج بموضوعيَّة؟
- كيف نستنتج مما نكتب حلولًا ومعالجات؟
- كيف نفسِّر النتائج؟
- كيف نكتب التقرير؟
- كيف نعمل ونتحدَّى الصِّعاب؟
- كيف نتطوَّر ونُطوِّر؟
- كيف نُحدث النُّقلة؟

ولذا؛ فالمنهج بناء فكري على أسُسه تبنى النَّظريّات وتترابط وتُصاغ، وبه يتم إظهار المتغيّرات الصريحة والضمنيّة وتُستكشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل، ومنه تُستمد الطُّرق التي تُنتهج من أجل تحقيق الأهداف العلميَّة.

إذن: المنهج تتبع فكري واعٍ به تتّزن المعلومة حتى تأخذ مكانها الذي يليق بها بين المعلومات السَّابقة لها والمعلومات اللاحقة عليها، وبه يتم

استكشاف الاتجاه السَّالب والاتجاه الموجب، وإظهار الكيفيَّة التي يتم بها الإصلاح بفعاليَّة[25].

بالمنهج تتَّضح الرُّؤية، عمّا هو كائن وعمّا يجب أن يكون، مع تقديم بدائل وفقًا لكل أوّلويَّة، ولكل تداخل وتتابع في الفكرة والكلمة والجملة والنص أو الخطاب.

المنهج لا يستقل عن النّص بأيِّ حال من الأحوال؛ ولهذا لا يمكن كتابة المنهج فالمنهج لا يُكتب ولكن يكتب عنه، مثلما نفعل الآن نكتب عن المنهج لنُعرِّفَ به الآخرين مثلما عرفنا نحن مما قرأنا من غيرنا.

المنهج لا يمكن أن يستقل بذاته عن غيره نظريَّة أو نصًا أو خطابًا؛ ولذا مع أنّ المنهج لا يُكتب، فإنَّه يُكتب عنه.

به تُستبين المسارات الفكريَّة والاتجاهات المحمولة فيه، إنَّه الكيفيَّة التي بها تتم صياغة الموضوع وكيفيّة تقديمه للقرّاء والمستمعين أو المتعلمين ورجال القانون؛ حتى يتمكّنوا من استنباطه ومعرفته عن كتبٍ، وهكذا يتم إدراك المنهج استقراءً واستنباطًا بما يُكتب به وبما يُكتب عنه.

يكون المنهج متينًا بقوَّة ترابط أفكاره وبناء قواعده، ويكون ضعيفًا بتفكك أفكاره وبنيان قواعده، فالمنهج يمد المفكرين والباحثين بما يُمكِّنهم من استقراء الفكرة وما تدل عليه وما تحمله من متوقَّع وغير متوقَّع سواء

[25] عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 24.

أكان سالبًا أم موجبًا، ويمدهم بكيفيّة التمسّك بما هو موجب والحياد عمّا هو سالب.

إنَّه ناظم المعلومة في الفكرة، وناظم الفكرة بالمعلومة، وناقلها بها إلى الطريقة المترجمة له في كل خطوة من خطواتها في الفعل والسُّلوك.

المنهج هو الكيفيَّة التي يتم بها توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الحُجَّة من الحُجَّة، من أجل رؤية المستقبل والتطلّع له قبل وصوله، وهكذا يكون المنهج من أجل التطوُّر والتقدُّم إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع[26].

وبما أنَّ بالمنهج تُفكك المعلومة وتُركَّب، إذن: هو الذي به يتم الانتقال من الكل إلى الجزء ومن بعده يتم الانتقال إلى المتجزئ، وبناء على هذه القاعدة كان جدل هيجل، وشكّ ديكارت من أجل معرفة الحقيقة الكامنة في الكلِّ، والحقيقة الكامنة في الجزء، والحقيقة الكامنة في المتجزئ، وعليه أصبح البحَّاث القانونيون يمتدّون في تقصيهم المعرفي من كلٍّ إلى جزءٍ إلى متجزئ منه، وحسب خصوصيَّة كل موضوع، وكذلك منهم من يمتد في بحثه بداية من المتجزئ إلى الجزءِ ومن ثم إلى الكلِّ.

المناهج كما سبق أن بيَّنا هي التي تُعلِّمنا كيف نفكّر، وكيف نتعلم، وكيف نشاهد ونتابع عن وعي، وكيف نُلاحِظ ونستقراء الفعل وردود

[26] المصدر السابق، ص 26.

الفعل، وكيف نربط علاقة بين متغيّرين أو أكثر، أو كيف نكشفها للآخرين وندافع عنها ونترافع.

المنهج لم يعد كما يظن البعض قالبًا ثابتًا لصهر الأفكار مثل القوالب التي تُصهر فيها المعادن تحت درجات حرارة عالية، بل أصبح المنهج قواعد معيارية يُمكن أن تقاس به الأقوال والأفعال والسُّلوكيات، وتحدّد على ضوئه الاتجاهات وتستقرا نتائجها المستقبليَّة مما يجعل البحَّاث يرسمون لها الخطط في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)؛ ولهذا فالمناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع لتبحث فيها، هذه المناهج اجترارية، فهي كمن يَلُكَّ العِلكة أكثر من مرة، فهي لا تُمكِّن الباحث من توليد الفكرة من الفكرة، والمعلومة من المعلومة، والأحدث من الحديث، والأجد من الجديد، والأنفع من النافع؛ فالمناهج التي تُمكّن من كل هذا هي التي تجعل المجتمع بأسره في حالة حركة متجددة، وفي حالة تسابق ومنافسة وتطلّع من أجل بلوغ أمانيه وغاياته بكل شفافيَّة مع أخذ الحيطة والحذر من كل انتكاسة.

ولأنَّ البحوث تختلف باختلاف مواضيعها، ودرجة اهتمام الباحثين أو المجتمع بها؛ فهي تتطلَّب مناهج علميَّة مرنة تُمكِّن الباحثين من الوصول إلى أهدافهم العلميَّة بأقصر الطرق، وأقل التكاليف، وتقدم الموضوع بخطوات يمكن مراجعتها والتأكد منها، ومع ذلك لم تكن المناهج قوالب جاهزة كما يعتقد البعض، بل إنَّها ذات الأساليب المتنوِّعة والمتعدّدة؛ ولهذا

لا داعي إلى فرضها على الآخرين نتيجة خصوصيَّاتهم وخصوصيَّات مواضيعهم، التي تتطلَّب أساليب مرنة تراعي خصوصيَّاتهم الثقافيَّة والتعليميَّة والدّينيَّة والعرفيَّة في أثناء تجميع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص حالتهم، واستخلاص النتائج منها.

المنهج العلمي والموضوعي هو المنهج المفتوح غير المقفل، فالمناهج المقفلة مناهج استهلاكيّة غير منتجة، تتقيد بالتكرار الذي لا يفتح آفاق التعلّم واكتساب الخبرة أمام منتهجيه، أمَّا عندما تكون المناهج مفتوحة ومتقنة فإنَّها تكون مناهج استيعابيَّة، تستوعب تطلّعات الباحثين وشطحاتهم، مما يجعل بحوثهم إبداعيّة، أو التي منها يأتي الجديد.

وكما أنَّ لكل فرد منهج خاصّ به في حياته العادية يسير عليه سلوكًا وأسلوبًا في تعامله مع الآخرين، ويتميّز به عنهم، كذلك الباحث ينبغي أن يكون له منهجٌ يصطبغ بخصوصيَّة موضوعه، وعليه ينبغي أن يهتم الباحث بالمنهج الذي يستوعب شطحاته التي منها قد يأتي الإبداع، وكثيرًا ما يوصف إبداع المبدع في البداية بأنَّه شطحات، ويكون في النهاية إضافة علميَّة جديدة، مما يبطل آراء البعض المنادين بالتقيد ببعض الاتجاهات المنهجيَّة التي لا تنتج إلّا التكرار.

المنهج مع أنَّه يَنْظِمُ المعلومات تحليلًا وتعليلًا فإنَّه قد لا يكون فعَّالًا، أي: يمكن أن يتبع الباحث خطوات البحث العلمي بكل دقة، ولكنَّه قد

يكون مقفلًا على تعاليم سابقة وغير قادرٍ على الخروج عنها بما يُمكِّنه من أن يكون مبدعًا.

إنَّ اقتصار التفكير العلمي على ما تسمح به اللوائح والقوانين الوضعيَّة، هو تفكير استهلاكي لا يحقّق الإبداع، ولا يرتقي بالمبدعين، فالذي يرتقي بالمبدعين هو ألَّا يُحدَّ من تفكيرهم بسقفٍ يقفون عنده أو دونه، لتكون آفاق الخيال العلمي مفتوحة أمامهم، وهكذا من الواقع والخيال، والحدس، يصل العقل المبدع إلى الجديد المفيد.

المنهج العلمي يرتبط بالموضوع، ولا يحيد عنه؛ ولذا فالموضوع هو الذي يحدّد المنهج المناسب للبحث فيه أو لدراسته؛ ولهذا لا يمكن أن يكون المنهج سابقًا على الموضوع، فلولا الموضوع ما كان المنهج، ولولا المنهج ما سُبرت أغوار الموضوع وكُشفت أسراره؛ ولهذا نقول:

(لكلِّ موضوع منهج خاصٌ به، فلا داعي لتسويق المناهج الجاهزة التي تُسهم في خلق التُّبع ولا تُسهم في خلق المبدعين).

وعليه:

بالمنهج نستطيع أخذ العبر من الماضي، ونستوعب الحاضر الجميل من أجل المستقبل الأكثر أهميَّة، ولكيلا تكون المناهج تكرارًا مملًّا نتيجة اقتصارها على الجاهز فقط ينبغي لها أن تكون مناهج تطلّعيَّة تفتح آفاق

الإبداع أمام البحَّاث في جميع مجالات العلوم وميادينها الواسعة؛ وذلك باستيعابها تطّلعات المجتمع وأمانيه المرجوة[27].

ولذا فالمنهج هو الفن العلمي في تحديد المواضيع وسبر أغوارها عللًا وأسبابًا وتحليلًا وتشخيصًا ونتيجة أو استنتاجًا، ويتضح الفن المنهجي لدى الباحث عندما يتمكّن من ضبط قدراته العقليَّة مع الموضوع قيد البحث أو الدراسة؛ لأن المناهج هي المفاتيح التي تدخل الباحث إلى الموضوع للتعرُّف على أسراره وخفاياه. وبذلك المنهج هو الذي يُمكِّن من اكتشاف الأثر سواء أكان أثرًا ماديًّا أم فكريًّا.

إنَّ المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث والدراسة مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، فالأهم أن تكون مناهجَ تطلّعيَّة؛ لكي تكون سباقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلّف والمرض ومندفعة به إلى التقدُّم والرّقي؛ وأخذه الحيطة والحذر من أن ينتكس إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق له وأن وشفي منه.

ولهذا لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو عند ما هو كائن، بل يجب أن تتطلَّع إلى ما هو ممكنٌ (متوقَّع وغير متوقَّع) من أجل المستقبل الأفضل.

---

[27] المصدر السابق، ص 34.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن من إحداث النُّقلة التي بها يُصنع المستقبل؛ ولهذا ينبغي للباحث ألا يستهين بالزَّمان، ولكيلا يستهين بالزَّمان عليه أن يُعطي قيمة له، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد أسهم في ضياعه وضياع مستقبله ومستقبل أبنائه من بعده.

وقد يتساءل البعض:

. إذا كان للزّمن قيمة فما هي قيمته؟

. هل لأنَّه ضرورة بالقوَّة في ماضيه، وحاضره، ومستقبله؟

. وهل هذه الضرورة نخافها؟

. وهل نخاف الزَّمن بكامله؟

نعم إنه ضرورة بالقوَّة، ونعم إنَّنا نخافه، وبخاصة المستقبل منه، لأنَّه غير معروف لنا بعد، ممَّا يُحفِّز الباحثين لأن يصوغوا له الفروض والتساؤلات العلميَّة بموضوعيَّة؛ ولهذا فهم يبحثون دون توقف عند حدود الماضي منه والحاضر؛ وذلك لمعرفتهم بأن المستقبل سيأتي بالقوَّة شئنا أم أبينا.

وبما أنَّنا نعرف أنَّه سيأتي بالقوَّة، إذن: لماذا لا نبحث عنه؟ ولهذا يجب أن نتعلّم من أجل المستقبل الذي لم نعرف مضمونه، مع أنَّنا نعرف أنَّه سيأتي إن لم تقم السَّاعة، ولهذا فنحن الذين أسلمنا وجوهنا لله تعالى، نصلّى، ونصوم، ونحج، ونزكّى، ونجاهد يوم أن يأتي الجهاد فريضة، وكذلك نعمل، ونتزوج، ونُأمِّن على ممتلكاتنا، ونأكل ونشرب، ونتعلّم، ونبحث،

ونفكّر ونتذكّر ونعتبر، كل ذلك من أجل المستقبل، ولم يكن من أجل الماضي والحاضر.

وقد يتساءل آخر:

. وما الحكمة من كلِّ ذلك؟

لأنَّنا نجهل المستقبل، ولا نثق فيه، كما لا نثق في الماضي والحاضر، لأنَّ الماضي تركنا دون أن يأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرٌّ على ذلك بتنازله عنَّا ثانية بثانية، ولا يود الاستمرار معنا؛ ولهذا انعدمت الثّقة في الزَّمنين (الماضي والحاضر)، مما يجعلنا لا نقصر تفكيرنا عيهما إلَّا لأخذ العبر والقدوة الحسنة؛ ولذا فنحن نفكر في غيرهما، ولا غير لهما إلَّا المستقبل مع أنَّه شقيقهما الذي قد يغدر بنا إذا لم نحتط من غدره، وعليه: لا ثقة في الزَّمن على الإطلاق، الثّقة في العمل دون سواه، ولهذا ينبغي أن نعمل دون تردّد، نبحث، نتعلّم، نتعرَّف، ونصحّح أخطاءنا أوَّلا بأوَّل، ونتطلَّع إلى حياة المستقبل، ونعمل على صناعته دون توقف؛ ولذا فمن يتوقّف قليلًا يتأخّر كثيرًا فلا داعي للتوقّف ولو لبرهة.

المناهج العلميَّة هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط، بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه؛ حتى لا تكون بمرور الزَّمن جامدة لا مرونة فيها، وتصبح هرمة كالعجوز لا حيوية لها، متكئة على عصا لا غاية من ورائها إلَّا إثبات عدم قدرة من يتكئ عليها، فهي لم تكن عصا موسى عليه الصَّلاة والسَّلام.

للباحث العلمي أساليب فنية تربط المنهج بالطريقة البحثيَّة المتوافقة مع الموضوع قيد البحث والدراسة، مما يجعل للمنهج المتقصّي للحقائق عناصر التشويق التي تُحفِّز القراء على البحث، وتُمكِّنهم من التعرّف على أسراره وخفاياه وكنوزه الثمينة؛ ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل لها من الأساليب المتنوِّعة التي بها تتنوعّ البحوث وتتزين بموضوعيَّة.

وعليه: فإن المنهج هو العمليَّة الشاملة التي بها تحلل المعلومات والمعارف والقضايا والعلوم والأفكار، وهذه العمليَّة هي التي تُمكِّن طرق البحث من بلوغ النتائج، فالطريقة التجريبيَّة لن تنجز أهدافها إلَّا بكشف العلائق الدالة على حلقات الترابط بتحليل الظَّاهر والكامن أو الصريح والضمني، وهكذا الطريقة التَّاريخيَّة وطريقة المسح الاجتماعي لن تتما كطريقتين بحثيتين إلا بالمنهج التحليلي.

لذا؛ إنْ حُددَ المنهج من قبل الباحث لا بدَّ وأن تكون من ورائه فلسفة، وتتَّضح فلسفة المنهج بالإجابة عن السُّؤال: لماذا يختلف البحَّاث، أو يتفقون في التعرّف على الموضوع الواحد، وكيف[28]؟

بشكلٍ عام يختلف البحَّاث ويتفقون حسب المواضيع، والفلسفات والأهداف المرجوة من كل باحث، وكذلك الأغراض والغايات التي من ورائها، والإطار المرجعي لكل منهم أيضًا.

[28] المصدر السابق، ص 41.

أمَّا بشكل خاصّ فلكلٍّ شِرعة ومنهاجًا، أي: إنَّ المنهج هو المتغيّر الرّئيس في التباين بين الباحثين فمنهم من تُنْظم فرضياته وتساؤلاته وأفكاره على قواعد، ومنهم من يتخلى عنها أو عن بعض منها؛ ولهذا لا يستوون في علاقاتهم البحثيَّة مع الموضوعيَّة التي تسنها الأخلاق المهنيَّة والحرفيَّة والعلميَّة.

ولهذا؛ تستمد فلسفة المنهج من فلسفة الموضوع، فيُصبغ المنهج بفلسفة الموضوع كما تُصبغ الأشياء بالألوان مما يجعل وحدة بينهما لدرجة تصعب علينا الفصل بينهما؛ فالورقة الخضراء من أيّة شجرة إذا غمرناها مثلًا في محلول كيميائي قد يتغيَّر لونها الأخضر إلى لون سماوي أو برتقالي، أو أيّ لون آخر طبيعي كما تحوَّل لون مايكل جاكسون من اللون الأسمر إلى اللون الأشقر فأصبح موضوع بلا منهج لأنَّه فقد فلسفة وجوده باللون الأسمر الذي ارتضاه الله إليه، حتى وإن كانت له فلسفة من وراء تغيير لونه.

وإذا غمرنا قميصًا ورديًّا في محلول كيماوي فإنَّه سيفقد لونه الذي أصطبغ به، والذي ميّزه عن غيره من ألوان القمصان، وعندما تزال الألوان عن أُوصولها الأساسيَّة أو الطبيعيَّة تصبح كالمواضيع بلا منهج لأنَّ المنهج هو الطابع المميز للموضوع أو وسيلة إبرازه علميًّا من خلال السُّبل الفنية التي تتبع من قبل الباحث أثناء تجميع المعلومات والبيانات وانتظامها تحليلًا وتعليلًا واستنتاجًا وتفسيرًا؛ ولهذا إذا كان غير مؤسّس على المنهج فهو

عبارة عن مشروع ارتجالي لم يُبنى على قواعد موضوعيَّة يمكن الاحتكام بها والاحتكام إليها.

المنهج هو الذي به نتعلّم كيف نتعلَّم؛ ولذا فالمنهج الذي يعلّمنا كيف نتعلّم هو الذي يُمكِّن من المعرفة الواعية، والمناهج المخالفة لذلك هي المناهج الإعلاميّة الإبلاغيّة؛ ولذا فالفرق كبير بين المناهج التي تُعلِّمنا كيف نتعلَّم، والمناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، فالأولى: تُفسِح الطريق أو المجال أمامنا بما يظهر إبداعاتنا العلميَّة، والثانية: تُفسِح الطريق أمامنا بما يجعلنا نردد ما تم إعلامنا أو إبلاغنا به، ولا تُحفِّزنا على سواه.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن الباحث من كشف العلاقات بين المتغيّرات والعلل والأسباب مع المقارنة لأجل التفصيل والتدقيق والتقصي الواعي بموضوعيَّة، مما يؤدِّي إلى معرفة العلاقات بين الكل، والجزء، والمتجزئ، وأثر كل منها على الآخر وفقًا لمتغيّرات البحث المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة.

وعليه:

لكي تكون مناهج البحث العلمي مبدعة ينبغي أن تتحرر من طرقها وأساليبها التسليميَّة والسرديَّة التي لا تمكّن من استيعاب الخصوصيَّة الزَّمانيّة والمكانيَّة والظرفيّة والقانونيَّة.

إنَّ انتقادنا للمناهج التسليميَّة، لأنَّنا نريدها أن ترتقي إلى استيعاب المستقبل الأفضل الذي يأمله النَّاس، ويكفيها القصور عند الماضي أو الحاضر فقط، وهذا لا يعني إنَّها تنفصل عن ميز الماضي ومميزات الحاضر الجميل، بل يعني: أن تُستمد القوَّة منهما لبلوغ ما هو أقوى وأعظم وأهم؛ ولهذا التسليم بكل ما يُكتب، أو يُقال لا يعد ميزة، بل يُعدّ عيبًا إن لم يتم التفحُّص بعد شكٍّ بغرض اليقين؛ ولذا لا تسليم إلّا بمسلمات يدركها العقل الواعي وتثبتها التجارب الاجتماعيَّة، أو المعمليَّة المختبريَّة، ولا تسليم إلا لمطلق، ولا مطلق إلّا من عند الله عزَّ وجلَّ، وبما أنَّنا نعترّف أن البشر غير معصومين من الخطأ، فلماذا إذن: لا نشكّ في آرائهم إلى أن نتبين أنَّه الحقّ اليقين؟

وعندما ينتقل تفكير المعلم والمتعلِّم من الانتظار إلى الامتداد في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، أي عندما لا يقف المعلم والمتعلّم عند حد المعلومات التي استقبلوها أو تعلموها، عندها لا تتوقّف قدراتهم واستعداداتهم عن الاستيعاب بل تنطلق إلى طلب المزيد المفيد، لأنَّ التفكير العلمي تفحصي واستبياني استنتاجي، يربط العلاقات بين المتغيّرات، ويتوقّع معلومات أخرى قد تقع في أيّ لحظة من لحظات الزَّمن وفي أيّ مكان على الكرة الأرضيّة[29].

[29] المصدر السابق، ص 53.

المناهج العلميَّة هي التي تبني الثّقة في المعلم والمتعلم، وتحررهما من التبعيَّة وهمومها التي تطمس شخصيَّة كلّ منهما.

المناهج العلميَّة استفساريّة تساؤليّة؛ وذلك عندما تستفز القارئ والمتعلم علميًّا، وتحفزهما على الاطلاع والتساؤل، وتشوقهما إلى المعرفة الواعية التي لا تجعل من العلم طلاسم أمام البحث والنقاش والحوار والجدل بالتي هي أحسن؛ ولهذا لا يمكن أن يحس المعلم بالتعالي ولا يحس المتعلم بالغربة، وتنتهي النَّظرة التلقينيَّة التي تجعل المعلم طرفًا موجبًا، والمتعلّم طرفًا سالبًا، والمعلم مُرسل للمعلومات، والمتعلم مستقبل لها، ويصبح التعليم متحرّرًا من القيود، وفيه تتساوى كفتا الميزان بين المعلّم والمتعلّم، فمع أنَّ العمليَّة التعليميّة يقودها المعلّم فإنَّ المستهدف بالتعلّم هو المتعلّم مما يستوجب مشاركته وعدم تغييبه.

ولهذا يجب أن تبدأ المناهج مع المبحوثين والمتعلمين من حيث هم، لكي تندفع بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك باستيعاب أحوالهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والدّينيَّة والثَّقافيَّة، بمعرفة المستويات التي هم عليها، لتكون البداية منها كواقع اجتماعي وإنساني، مع مراعاة الفرق في القدرات، والاستعدادات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ ذلك لأنَّ البداية مع النَّاس أو المتعلمين من حيث هم تحليلًا وتشخيصًا يُمكِّنهم من استيعاب الرِّسالة الموجهة إليهم.

والمنهج يُعدّ هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بفلسفته والخطوات التي تُتبع من أجل اكتماله وتبيانه، فإذا سألنا سائلًا:

أيّهما أسرع حركة الجسم الأثقل أم الجسم الأخف؟ فإذا أجبناه إجابة عابرة كما سألنا عابرًا نقول: الجسم الأخف أسرع حركة من الجسم الأثقل، ولكن هل نحن على وعيٍ عندما أجبنا بأنَّه الأخف؟ لكي نكون واعين بإجابتنا علينا أن نطرح الأسئلة الآتية، ونحاول الإجابة عنها.

. هل تتأثَّر حركة الأجسام بحجمها أم لا تتأثر؟ أي: هل تستوي سرعة جسم يزن 145 كيلو غرامًا مع سرعة جسم يزن 75 كيلو غرامًا في مضمار كرة القدم؟

. هل تتأثر حركة الأجسام بالمسافة أم لا تتأثر؟ أي: هل تكون سرعة الجسم واحدة إذا قطع في المرة الأولى مسافة 200 متر، وفي المرة الثانية 2000 متر؟

. هل الاتجاهات تؤثّر على حركة الأجسام؟ أي: هل الحركة إلى الأمام تساوي الحركة إلى الخلف؟

. وهل الحركة من أسفل إلى أعلى تساوي حركة الجسم وسرعته من أعلى إلى أسفل؟

. هل الزَّمن يؤثّر على حركة الأجسام؟

. هل الذي قضى من الزَّمن 80 عامًا يكون مساويًا لمن لم يقض إلَّا 25 عامًا في سرعة حركته؟

. هل اختلاف زمن السّباق للمتساوين في السّرعة لا يؤثّر في المسافة المستهدفة بالمرور؟

. ألا تتأثر حركة الأجسام بنوعيّة الأرضيّة التي يتحرك عليها؟

. أي: هل الحركة على الأرض الرمليّة تساوي الحركة على الأرض الممهدة بالفلّين؟

. هل المناخ يؤثّر على الحركة؟

. أي: هل الحركة في اتجاه الريح تساوي الحركة التي في مواجهتها؟

. ألا يكون للحرارة تأثير على الحركة والمتحرك؟

. هل للثقل أثر على الحركة؟ أي: هل كلَّما زاد ثقل الجسم قلت سرعته الحركيّة؟

. ألا يكون شكل الجسم يؤثّر على حركته؟

. أي: أيهما يسقط أوّلًا كرة دائريّة الشّكل وتزن كيلو جرامًا، أم مظلة دائريّة الشّكل وتزن 3 كيلو جرامات؟[30]

[30] عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجأ، الطبعة الثانية، 1995، ص 48.

كل الأسئلة السَّابقة تحمل إجاباتها في مضامينها، نتيجة منهج التوليد الذي يحدّد متغيّراتها والعلاقات المتكوِّنة بينهما وتأثيراتها الموجبة والسَّالبة، وعناصر الإثبات والنفي المحمولة فيها؛ ولذا فطريقة عرض هذه الأسئلة تعبر عن وجود منهج من ورائه حكمة؛ ويكون المنهج في هذه الحالة هو المجسدّ للسُّبل التي يتّبعها الباحث في تقصي المعلومات وتفكيكها من خلال تتبّع موضوعي من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ منه مما يجعل المنهج هو المترجم للفروض والمنظم للبحث من ألفه إلى يائه.

ولهذا فالمنهج لم يكن قالبًا ثابتًا لصهر الأفكار تحت درجات حرارة عالية وكأنَّه فرن لإذابة الحديد أو الخامات المعدنية الأخرى الصّلبة، بل المنهج يكون قابلًا لاستيعاب الجديد ويسعى للكشف عنه.

إذن: المنهج لم يكن تكرارًا روتينيًّا كما يعتقد البعض الذين يحاولون قصره على دراسة الماضي بالتحليل والتفسير، أو البعض الآخر الذي يريد قصره على دراسة الحاضر المشاهد، بل هو الذي يربط الموضوع بالزَّمان والمتغيّرات التي تظهر من فترة لأخرى، ومن مكان لآخر وهو المستوعب للمستقبل والمتطلّع إلى آفاقه المرتقبة.

ومن ثمَّ بالمنهج يتم أخذ العبر من الماضي، واستيعاب الحاضر من أجل المستقبل الأنفع والأفيد، ولكي لا تكون المناهج تكرارات روتينية تُولِّدُ الملل عندما تقتصر على معرفة الجاهز فقط في الزَّمن الماضي أو الحاضر ينبغي أن تكون تطلّعيَّة؛ لكي تفتح آفاق الإبداع أمام العلوم باستيعابها

تطلعات المجتمع وأمانيه وتتابع عن كثب مراحل نموّه وتطوّره وتستوعب التغيرات الطَّارئة عليه، وكذلك ينبغي أن تستوعب شطحات الباحث العلميَّة من أجل أن تفتح الآفاق أمامه في معرفة الجديد واكتشافه من خلال خروجه عن الروتين والقولبة الفكريَّة والعقليَّة المميتة للتألق والإبداع وبلوغ الخوارق[31].

وعليه: فالمنهج العلمي هو الذي يُتبع في تقصي الحقائق وتبيانها، ويحتوي على عناصر التشويق التي تُحفِّز القراء على البحث والتقصي الدقيق الواعي، وتُمكِّنهم من التعرّف على أسراره وخفاياه؛ ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل تختلف بالضرورة من موضوع إلى آخر، ومن باحث إلى آخر، وحسب الظّرف الزَّماني والمكاني والفلسفة التي دفعت الباحث إلى اختيار الموضوع والبحث فيه.

ونتفق مع الفيلسوف ديكارت في قوله: ليس غرضي ها هنا أن أعلم المنهج الذي ينبغي على كل امرئ اتباعه من أجل اقتياد عقله على النحو الصحيح، بل فقط أن أبيِّنَ الطريق الذي سلكته لإرشاد عقلي[32].

والغرض من تقديم المنهج هو تبيان النقاط المهمة والأساسية في استيضاح المعلومات والبيانات حتى لا يضيع جهد من يحاول البحث في

---

[31] المصدر السابق، 61،

[32] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1984، ص 493.

التخطيط العشوائي الذي تجاوزه العلم الحديث؛ ولهذا تكون للمنهج قواعد علميَّة ينطلق منها البحَّاث ويعودون إليها عند الحاجة دون أن تُجرّدَهم من خصوصيَّاتهم الذاتيَّة وأساليبهم الموضوعيَّة[33].

[33] عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 22 – 45.

وحدة القواعد النَّاهضة والمتساندة ترابطًا

لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة مجموعة من القواعد النَّاهضة والمتساندة والمترابطة، التي تُمكّن من ممارستها ميدانيًا وعمليًّا ووفقًا لكل خصوصيَّة فرديَّة أو جماعيَّة أو مجتمعيَّة؛ ولذا فالقاعدة أساس لتوازن الأفكار والفروض والقوانين والقيم، تؤسَّس عليها العلوم وتصاغ بها النَّظريَّات، والالتزام بها يؤدِّي إلى الممارسة العمليَّة والسُّلوكيَّة السليمة القابلة للقياس والتقويم الموضوعي.

ومع أنَّ الالتزام بالقواعد يدلّ على سلامة العمل المنظم فإنَّ لكل قاعدة استثناء، ومع أنَّ القاعدة ينص عليها والاستثناء لا ينص عليه فإنَّ السُّلوك الانحرافي في أساسه خروج عن قاعدة.

ولهذا؛ فالقاعدة ينصّ عليها وتنال الاتفاق والإجماع، والاستثناء لا ينص عليه ولا ينال الرضاء، وإن حدث يترك أثرًا يستوجب الدراسة والعلاج أو التقويم.

وعليه: فالالتزام بالقواعد يؤدِّي إلى التقدُّم والتطوّر وسيادة النظم والقوانين، وبها تُرسّخ القيم وتقوى الروابط بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

والفرق بين القاعدة والمبدأ، القاعدة أساس لصياغة القوانين والنَّظريَّات، والمبدأ قد يكون اتفاق بإرادة، وهو في بعض الأحيان يستبدل أو يغير كلما لزم الأمر للأطراف المتعاقدة، أمَّا القواعد فهي القوَّة التي على

أساسها تتطوّر العلوم، ومع ذلك فالتداخل كبير بين القاعدة التي تؤسَّس عليها النصوص والقوانين والنَّظريَّات والمبادئ التي تترجم إلى أساليب وبرامج عمل.

وعليه: فالقاعدة: ثبات القانون الطبيعي: (خَلقًا)، وهيئةً: (ما قبل الشّكل والصّورة)، ومادّةً: (الشّكل والصّورة)، ونوعًا: (تنوّع المخلوقات)، وجنسًا: (ذكر، وأنثى)، وحيويّة: (حركةً وسكونًا).

فالقاعدة: معطية كلّيَّة تحتوي الجزء المحتوي على المتجزئ منه، منها تستمدّ القيم، وعليها تؤسَّس المبادئ، ويوصف الخروج عن القاعدة (شذًّا)، والخروج عن القيمة (انحرافًا)، والخروج عن المبدأ: (ردّة، أو خيانة).

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هي المهنة التي تتكامل طرقها من خدمة الفرد إلى خدمة الجماعة إلى تنظيم المجتمع إلى طرق البحث والتنميَّة البشريَّة والإداريَّة؛ إذ كلها طرق مهنيَّة ناهضة ولا تقبل الاستكانة والجمود؛ ولذا فهي المهنة المتفاعلة مع متغيِّرات العصر، والمستوعبة لمعطيات النّهوض تقدّمًا وتجديدًا يمكِّن من إحداث النُّقلة، ويبثّ الحيويَّة الفعَّالة في عقول المتخصّصين والدّارسين وفي أنفسهم وضمائرهم.

والقواعد المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة هي تلك القواعد المؤسّسة للبحث العلمي وبموضوعيَّة، وهي التي يلتزم بها الأخصائي الاجتماعي في أثناء أدائه لدوره المهني دون أن يغفل عن قاعدة منها، وهذه القواعد تجنّب الباحث الاجتماعي والأخصائي الاجتماعي من الاخذ بالأحكام السَّابقة

غير القابلة للقياس وبخاصّة عندما تكون متأثرة بالعواطف التي تميل بأصحابها عمَّا لا ينبغي الميل عنه.

والقواعد المهنيَّة للبحث العلمي هي تلك الحقائق التي لا يمكن الاغفال عنها وفقًا لكلِّ مجال ولكلِّ تخصّص ولكلِّ مهنة؛ ذلك أنَّها المرجعيَّة التي تؤسّس لمشروعٍ إنسانيّ ناهض، وهي المستمدَّة مِن القيم التي يُحتكم بها ويَحتكم إليها.

ومن هنا فإنَّ قواعد البحث العلمي في الخدمة الاجتماعيَّة قواعد إنسانيَّة بنائيَّة (تهتم ببناء الإنسان قيمًا خيِّرة وفضائلًا حميدة)، ويتم من خلالها تناول القضايا والمواضيع والمشاكل تناولٌ موضوعي؛ حيث لا مجال للشّخصنة في ممارسة مهنة شخصانيَّة؛ ولهذا يُعد الأخصائيّون الاجتماعيّون إعدادًا مهنيًّا وفقًا لفلسفة المهنة ومبادئها وأهدافها والحكمة التي من ورائها.

ومع أنَّ قواعد البحث العلمي ذات مفهوم عام وشامل، فإنَّ لقواعد هذه المهنة من الخصوصيَّات ما يُميّز كلِّ تخصُّص وكلِّ خصوصيَّة؛ ولذا فلا تمييز للعلوم والمهن ولا تميُّز لها إلَّا باتباع خطوات البحث العلمي وقواعده البنائيَّة.

ومن هنا فلا يُمكِن أنْ تأخذ العلوم مكانتها المرموقة ما لم يكن للعوم قواعد تستند عليها حُجَّة.

ووفقًا لهذه الأسس المعياريّة اتخذت مهنة الخدمة الاجتماعيَّة قواعدها البحثيَّة من تلك النَّظريَّات الاجتماعيَّة والنّفسيَّة والأخلاقيّة؛ ومن هنا أتَّصفت هذه المهنة بالإنسانيَّة؛ إذ لا ترى الإنسان إلَّا قيمة في ذاته، وقد خَلقه الله تعالى في أحسن تقويم.

ومن ثمَّ يعمل الأخصائيّون الاجتماعيّون مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤسّسات العمل الاجتماعي، والرِّعاية الاجتماعيَّة، والضَّمان الاجتماعي، والمدراس، والمستشفيات، بغايات وقائيّة وعلاجيَّة وإنمائيَّة، وهذه كلَّها تُمكِّن من الإصلاح والتأهيل وإيجاد الحلول والخروج من التأزُّمات.

ولأنَّ ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة يقوم بها أخصائيّون اجتماعيّون فهي بلا شكّ لا تكون إلَّا مستندة على قواعد البحث العلمي؛ ولهذا تهتم مهنة الخدمة الاجتماعيَّة بدراسة حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات بحثًا معمَّقًا.

ودراسة الحالات تعني التَّوسع والتَّعمَّق في تناول دراسة المتغيّرات المتداخلة في عِلل الحالة ومسبباتها؛ ولذا فدراسة الحالة هي دراسة شاملة وخاصَّة؛ فهي الشَّاملة للحالة من حيث جوانبها النّفسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والذَّوقيَّة والثَّقافيَّة، وهي خاصَّة كونها متناولة لحالة واحدة بعينها ودون سواها، سواء أكانت الحالة نواة لشخصٍ بذاته، أم إنَّها

كانت ممتدّة تنطلق منه إلى محيطه الخاصّ به (زوج وأفراد أسرة وعلاقات مدرسيَّة وعمل أو علاقات مناشط متنوِّعة).

إذن: دراسة الحالة المعمَّقة لا تكون إلَّا دراسة من قِبل المتخصَّصين والمؤهَّلين مهنيًّا، الذين لا يتولّون دراسة أيّ حالة إلَّا وهم يعرفون أنَّ لكلِّ حالة تاريخ ينبغي أن تفتح صفحاته وفقًا لقواعد البحث العلمي ومبادئ المهنة وأهدافها، بغاية الإصلاح وإيجاد الحلّ الذي يمكّن من الاعتماد على النفس رغبة وإرادة.

وحدة الإنسان قوَّة متساندة مترابطة:

إنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة لا ترى الإنسان إلَّا وحدة واحدة متساندة القدرات ومترابطة القوَّة، ومع أنَّ الإنسان كذلك فليس له إلَّا أن يكون على القوّة الأكثر تساندًا وترابطًا مع قوَّة الجماعة، وكذلك إنْ أراد أن يكون على قوَّة أعظم فليس له إلَّا بتسانده مع قوّة المجتمع الأكثر قوّة مترابطة، ومن هنا مع أنَّ الفرد في دائرة الممكن قويًّا، فإنَّه أكثر قوَّة عندما يكون مشاركًا للجماعة، ويكون من بعد ذلك أعظم قوَّة بمشاركته المجتمع الذي هو الأقوى من قوَّة الجماعة.

وبناء على التساؤل المتوقَّع القول: كيف للإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، أن يوصف بأنَّه خُلق ضعيفًا؟

مع أنَّ هذا التساؤل ليس بنتيجة، فإنَّه بلا شك يرشد إليها من حيث أنَّ الإنسان، الذي خُلق في أحسن تقويم لا يكون إلَّا على القوّة الخَلقيَّة، أي إنَّ الإنسان من حيث الخَلق قد خُلق على القوَّة في دائرة النسبيَّة، أمَّا من حيث الأخلاق فكان الإنسان على الضّعف ضعيفًا: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}. ومع ذلك فقد يتساءل أو من يقول: ما زال في الأمر غموض.

أقول:

إنَّ الخَلق لا يكون إلَّا بيد الخَالق الذي قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[34]، ومن هنا فَحُسن التقويم يدلُّ على حُسن الصّنعة وجودتها، التي جعلت الإنسان هو الكائن المفضَّل على غيره من المخلوقات، أمَّا من حيث الأخلاق وما فيها من ضعف فلا تكون إلَّا بيد المخلوق (الإنسان) الذي تغلبه الشّهوة فتحيد به عن القوّة (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا).

ولذا فالإنسان قوّة؛ كونه صانع القوّة بقوّة ملكاته العقليَّة التي تمكِّنه من الاستقراء والاستنباط، والملاحظة والمشاهدة، مع مقدرته على التذكُّر، والتدبُّر، والتفكُّر، ثمَّ مقدرته على توليد الفكرة من الفكرة، وبالتَّالي إذا ما

34 التين 4.

نظرنا أو تفحَّصنا ما يدور من حولنا من قوَّة فلا نجد قوَّة تغالب قوّة الإنسان الذي خلقه الله تعالى على القوَّة.

وعليه: خُلق الإنسان على القوَّة تقويمًا وتصويبًا؛ فكان في حُسن تقويمه خير مخلوقاته وأقواها؛ ولأنَّه كذلك كان آدم أوَّل الخَلق نبيًّا إلى الملائكة والجن والإنس، ومع أنَّ الإنسان خُلق مفضَّلًا في أحسن تقويم، فإنَّه على هذه القوَّة كلّها هو الضّعيف أمام قوّة الخالق تعالى، كما أنّه الضّعيف أمام الشّهوة؛ فعندما تغالبه الشّهوة يكون ضعيفًا؛ لأنّ الشّهوة هي الضّعف الذي خُلق الإنسان عليه، فإن سيطرت الشّهوة على عقل الإنسان وقلبه كان الإنسان على طبيعة خلق الشّهوة ضعيفًا، ولكن إن هيمن العقل والقلب وسيطرا على الشّهوة فالإنسان لا يكون إلّا قويًّا، وهذه صفات لا تستمدّ إلّا من صفات الخالق، ولأنَّها تستمدّ من صفاته تعالى؛ فصفاته قوّة، وهي مصدر لكلّ قوّة.

ومن ثمّ فالاستغراب أن يغترَّ الإنسان بنفسه، فلا يلتفت إلى ما يجب أن يَقدِم عليه قوّة، وما يجب أن ينتهي عنه قوّة، وهنا يكمن الضّعف؛ فالإنسان قوَّة هائلة تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثمارًا أمثل، وكل ما نراه قويًّا هو ضعيف أمام قوَّة الإنسان العقليَّة، والحسية، والذَّوقيَّة، ومهما نُظر للإنسان بأنَّه قوَّة فهو الضَّعيف أمام قوَّة خالقه؛ ومن ثمَّ فكل ممكن هو في دائرة النسبيّة؛ إذ لا مطلق إلَّا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوَّته يتفكّر، ويتذكّر، ويستقرأ، ويستنبط، ويخطط، ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح، أو يُطوّر، ومع ذلك فلا قوَّة للإنسان إلَّا الحجَّة؛ كونها علم يقين، أو المشاهدة والملاحظة؛ كونهما عين يقين، أو المعايشة؛ كونها حقُّ يقين[35].

وحدة التيسير الممكن تساندًا وترابطًا:

الممكنُ ما ليس بمستحيلٍ ولا بمعجزٍ، ومن هنا تتساند مهنة الخدم الاجتماعيَّة النَّاهضة وتترابط قواعدها ومبادئها وأهدافها، التي تمّكن موضوعيَّة من المعرفة الواعية بحثًا ودراسة.

ولذا فبالنِّسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة بما أنَّ الأمر ليس بمستحيلٍ ولا معجزٍ؛ فهو ممكنًا، ومن هنا فهي المهنة القابلة بتحدِّي الصِّعاب وإن عظمت.

ولهذا فقواعد البحث العلمي بالنّسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مهما عَظُمت فلا تكون إلَّا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولأنَّ دائرة الممكن لا مستحيل فيها ولا معجز، وأنَّ العلم في دائرة النسبيَّة يملأها، فَلِمَ لا نبحث وننهل كما بحث أهل العلم الذين تقدَّموا عنا بمراحل

35 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010، ص 22.

وأعوام، ومع ذلك هم لا يزالون يبحثون نهضة تِقَنيَّة من بعد نهضة وقد نهضت؟!

ولأنَّها دائرة الممكن فكلّ شيء فيها مُتاح أمام الجهود المبذولة التي فيها يتقدَّم البُحَّاث على إنجاز الأهداف الصّعبة كما يتقدَّمون على انجاز الأهداف المتيسّرة، ومن بعدهما تحدٍّ يبلغون تلك الخوارق، وهي بلوغ ما لم يكن متوقَّعًا بالنِّسبة إلى الذين تقولبت عقولهم من تلك المناهج، ومن تلك العقول المجترَّة للمعلومات.

وتتكوّن دائرة الممكن من المتغيّرين الرَّئيسين: (المتوقَّع وغير المتوقَّع) اللذين تؤسّس عليهما التساؤلات أو الفروض والقوانين الممكن إثبات صحتها أو بطلانها، وباستخدام الطرق الإحصائيَّة يمكن التمييز بين ما هو متوقَّع وما هو غير متوقَّع ومعرفة أثره الإحصائي. وباستخدام خماسي عقيل لتحليل القيم تتَّضح الاستخدامات المتعدّدة لما هو متوقَّع ولما هو غير متوقَّع في دائرة الممكن، بما يمكّن من التمييز الإحصائي الذي يتم به قبول الفرضيّة العدميّة أو رفضها[36].

والممكن: هو الذي (لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلّما توافرت معطياته أو شروطه).

36 عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004، ص 36.

ولهذا لا يعد الممكن مستحيلًا، بل أنَّه ميسّرًا، وبما أنَّه ميسرًا وغير مستحيل إذن بالضَّرورة سيقع وفقًا لما نتوقّع أو وفقًا لما لا نتوقّع.

وتتكون دائرة الممكن من: (المتوقَّع وغير المتوقَّع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقًا للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها (50%).

والمتوقَّع: هو الذي: (بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب).

ولهذا فالمتوقَّع معطيات حدوثه أو ظهوره متوافرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وإذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب، والمتوقَّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا.

أمَّا غير المتوقَّع فهو الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي البحَّاث، ومع ذلك يقع ما يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقَّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

ولذا يقع (غير المتوقَّع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتًا.

وعليه: ينبغي على الباحث العلمي التعرّف على غير المتوقَّع وعلى علله ومسبباته لاحقًا؛ ليتم التعرّف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق[37].

ومع أنَّ الممكن ليس بمستحيلٍ، فإنَّ فيه من الصّعب ما فيه، وعلى الرَّغم من ذلك يتحقّق على أيدي البعض ارتقاء، ويتحقّق على أيدي البعض الآخر دونيَّة وسُفليّة؛ ولهذا فالممكن فيه من الموجب، وفيه من السالب ما يساويه، وفيه من المتوقَّع، وفيه من غير المتوقَّع ما يساويه.

ومع أنَّ الممكن بين متوقَّع وغير متوقَّع، فإنَّه ليس كلّ شيء ممكنًا؛ فهناك المستحيل الذي لا يخرقه إلّا معجز، وهناك المعجز الذي لا يخرقه إلّا ممكن، أي: إنَّ المستحيل لا يتحقّق إلّا مستحيلًا كما هو حال خلق الأكوان، وفتق الأرض منها، وهبوطها والأزواج على ظهرها إلى الحياة الدّنيا.

ولذلك فالخَلق صُنع الخالق، ولا إمكانيَّة للتمكّن منه فعلًا أو عملًا، أمّا النّشوء؛ فهو المعجز الذي يخلق من الشيء أشياء، كما هو حال الأرض وخلق كثير من الأزواج منها، ثمّ النّشوء التزاوجي ومعجزة الخلق من النّطفة، ثمّ الإظهار على علم الغيب، وهو المعجز الذي أصبح في دائرة الممكن نبأ

37 عقيل حسين عقيل، البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019، ص 49.

ورسالات بين أيدي من اصطفاهم الخالق أنبياءً ورسُلًا عليهم الصّلاةُ والسّلامُ.

ومن هنا، أصبح علم الغيب في دائرة الممكن بين أيدي النّاس معجزة تبشّر بما يجب، وتنهى عمّا لا يجب، وترشد للحقّ، وتحرّض عليه.

فكان الارتقاء تطوّرًا من الجهل إلى العلم، ومن محاكاة الطّبيعة وحياة الفطرة والأساطير والخرافة، وحياة المحاكاة تقليدًا بلا حُجّة عن غير بيّنة، إلى حياة المعرفة الواعية، والفكر المستنير الذي تلاقح بالعلم المعجز من عند الله على أيدي الأنبياء والرّسُل عليهم الصّلاةُ والسّلامُ، فأنتج عصرًا جديدًا، فيه تُولّد الفكرة من الفكرة، وفيه أصبحت المحاجّة بين النّاس المختلفين والمتخالفين بيّنةً ودليلًا، وفيه العبر والمواعظ تؤخذ من التّاريخ، وفيه الحقوق بين النّاس تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليّات تُحمل عن إرادة؛ ومع ذلك فالصّدام والخصام والاقتتال بين النّاس ظل في دائرة الممكن بين متوقَّع وغير متوقَّع.

ولهذا فالحياة البشريَّة لم تؤسّس على الاتفاق، بل تأسّست على الاختلاف، وسيظل النَّاس على الاختلاف إلى النّهاية، إلّا من رحم ربّك: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[38] ومن ثمّ فلا اتفاق بين النَّاس، بل الاتفاق لم يبق

38 هود: 118، 119.

بينهم إلّا أملًا، ولا يسعى إليه إلّا الواعون الذين لا تأخذهم الغفلة كما أخذت أباهم (آدم) عليه السّلام في لحظة الإغواء والشهوة، عندما عصى ربّه، وأكل من تلك الشّجرة المنهي عنها.

ولذلك وجب التذكّر؛ حتى لا تتكرر الأخطاء، ووجب التدبّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يمكّن من معرفة الكيفيَّة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومعرفة المعجز معجزًا، ومعرفة الممكن ممكنًا[39].

وحدة التواصل الاجتماعي تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ الإنسان خُلق على حُسن التقويم قوَّة؛ فإنَّه منفردًا وحيدًا لا يكون إلَّا على الضّعف والوهن، ولن يستطيع أن يرتقي ولا ينهض؛ ولذا فإنْ أراد نهوضًا ورفعة بها يبلغ المقامات العظام، ليس له إلَّا أن يتواصل مع محيطه القريب أوَّلًا، ثم من بعده يتطلَّع إلى التواصل مع الآخرين نهضة ورفعة.

ولهذا فالتواصل قاعدة قيميَّة اجتماعيَّة وإنسانيَّة ذات حَلقات مترابطة من الفضائل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، تُرسِّخ أفعال وسلوكيّات استيعابيَّة تجعل الإنسان في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التَّاريخ، ويحافظ على الهويَّة، وبناء الحضارات بعمليَّات

39 عقيل حسين عقيل، نحو النظرية ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020، ص 9 – 11.

التواصل الاجتماعي، والاقتصادي، والسّياسي، والنّفسي، والذّوقي، والثّقافي من ماضٍ بعيد إلى يومنا هذا مع التطلُّع إلى مستقبل أفضل؛ ولهذا كلّما زادت قيمة الطموح قوّة بين الأجيال عَبْر التّاريخ تتطوّر المجتمعات وتتقدّم.

ولأنَّ الإنسان كفرد يتربَّى في أسرة، ويتشرَّب القيم الاجتماعيَّة، والإنسانيَّة منها، ويمتد في علائقه مع محيطه البيئي؛ لذا ينطبع بمورثها الثّقافي، والحضاري، وتتشكَّل شخصيَّته التي بها يتميّز عن غيره من الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات، أو حضارات أخرى.

ولأنَّ التقدُّم البشري والإنساني لا يُبنى إلَّا بجهود مشتركة من مختلف الشّعوب والأمم فإنَّ التواصل بين بني الإنسان بمختلف أعراقهم وأديانهم وثقافاتهم يثري حركة التغيّر والتقدُّم الاجتماعي والإنساني؛ وذلك استنادًا إلى القاعدة التي تنصّ على أنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ومن ثمَّ يتواصل الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا مع بعضهم البعض في دائرة الأنا والآخر؛ إذ الضرورة والوجوب.

فالضرورة: من حيث الحاجة للرّعاية والعناية.

أمَّا الوجوب: فمن حيث الحاجة للإشباع المعرفي والثَّقافي[40].

40 المصدر السابق، ص 52.

ولهذا فالتواصل الاجتماعي والترابط يؤديان إلى اللُّحمة والوحدة ويمكِّنان من الاستيعاب الذي يظهر القدرات والاستعدادات والإمكانات، ويؤدّيان إلى امتلاك مقاليد القوَّة، وفي مقابل ذلك فإنَّ التفكك والانغلاق يؤدِّيان إلى الانسحاب من ميادين المعرفة ويؤدِّيان إلى التخلّف والضّعف والوهن أيضًا.

وبما أنَّ التَّواصل يقوِّي الرَّوابط الاجتماعيَّة؛ إذن فالتواصل مكَّونًا قيميًّا علائقيًّا؛ ولهذا كلَّما تواصل الأفراد قويت الرَّوابط الاجتماعيَّة بينهم، وكلَّما انطووا وانسحبوا ضعفت روابطهم الاجتماعيَّة، مما يجعلهم في حالة من الضّعف الذي يهدّد حياتهم الحاضرة، ولا يرسم لهم مستقبلًا، وقد يؤدِّي بهم إلى الانعدام أن لم يفيقوا من غفلتهم ويتواصلوا مع الآخرين الذين يمتلكون زمام القوّة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسّياسيَّة.

وعليه:

- كلما ضعفت الرابطة الاجتماعيَّة تصدَّع البناء الاجتماعي.
- كلما تواصل الأفراد بما هو موجب ازدادوا قوّة ورابطة.
- كلما انغلق المجتمع على ذاته ضعفت علائقه الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.
- التواصل يؤدِّي إلى المزيد المعرفي.
- التواصل يؤدِّي إلى التطلُّع الأفضل.
- التواصل يؤدِّي إلى ربط حلقات التَّاريخ المستمرّة.

. التواصل يؤدِّي إلى طي الهوة بين الأجيال المتلاحقة.

. التواصل كما ينمّي الرّوابط الاجتماعيَّة ينمّي الثّقافة والعلوم والمعارف وينمي المقدرة الذّاتيَّة للمجتمع.

ومع أنَّ الإنسان خُلق من طين، فإنَّه خُلق معدًّا للتفكير؛ فكانت الفكرة نتاج عقله ومن إعماله، وأوَّل فكرة كانت هي من عقل أوَّل من خُلق في أحسن تقويم (آدم)، ثمّ تعددت الفِكَر بتعدد البشريَّة وبتعدد ما تفكّر فيه؛ ولهذا أصبحت فِكَرا بعد أن كانت فكرة، أي: في هذا المسار الأمر يتعلّق بالفكرة التي أصبحت بتكاثرها فِكَرًا، ولكن هذا لا يعني أنَّ الأمر لا يتعلّق بالفِكْرِ الذي هو مكمن التفكير؛ فالفِكْرُ من معطيات العقل، وفي المقابل الفكرة لا تكون إلّا من التفكير وإنتاج العقل، وفيما يُفكَّر فيه؛ ولذلك يؤسّس التطوّر على قاعدتين:

الأوّلى: تطوير الفِكْرِ بما يمكّن الإنسان من التفكير، وهو يُفكّر فيما يُفكّر فيه قبل أن يتّخذ القرار تجاه ما فكّر فيه بداية حتى يُحسم الأمر تطوّرًا.

الثانية: تطوير الفكرة بفكرة أكثر ارتقاء؛ حتى تتولّد الرّؤى المتجاوزة للمألوف والمعتاد التفكير فيه.

وعلى هاتين القاعدتين تطوّرت رؤى البشريَّة وهي على التخيير بين اختلاف وخلاف، ولا حاسم للأمر إلّا المحاجّة والمجادلة، أي: لا حاسم

للأمر إلّا الالتقاء الذي فيه تُدحض الحُجّة بالحُجّة، وحتى إن امتلأت الحجج والجدل شدّة، لكنّ الشدّة الجدليَّة ضرورة؛ فهي لا تكون إلّا من أجل الحرص، وهي كذلك لا تكون إلّا بغرض التسوية لما سلف من انحدار وسُفليَّة، وهي بغاية الارتقاء عن كلّ ما يؤدّي للفرقة والخصام؛ ولهذا فمن أجل التطوّر والارتقاء لا يجادلك إلّا من هو حريص عليك، ويأمل ألا تظل تائها عن ممارسة وتأدية ما يجب أن يكون من أجلك وأجل من تربطك به علاقات.

ولذا فأصحاب الحُجج تطوّرًا يسعون إلى إحداث النُّقلة، والارتقاء بالنَّاس إلى ما يجعلهم قمّة، وفي المقابل من يخالفهم بغير حُجّة يشذّ إلى الخلف إعاقة، وبين هذا وذاك فلا استقرار، ولا أمن، ولا ارتقاء ولا تطوّر لأحد ما لم يؤخذ بالحُجّة ارتقاءً واستيعابًا، ولا استثناء لأحد بأيَّة علّة، إلّا إذا كان أحد علّة في ذاته، ولا استغراب من هذا الأمر؛ حيث لكلّ قاعدة شواذ، ومع ذلك الحجّة الجدباء لا تصمد أمام الحجّة الحلّ التي تعلو بأصحابها تطوّرا وارتقاء إلى ما يمكّن من المعرفة، التي بها سترتق الأرض والسّماوات كما كانت أوّل مرّة.

ولأنَّها المجادلة تطوّرًا وارتقاء؛ فهي لا تكون إلّا بالتي هي أحسن: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[41]؛ أي: لا ينبغي أن

41 العنكبوت: 46.

تكون المجادلة بالتي هي أسوء؛ فالأسوء لا يقود إلّا للخلاف والصّدام والاقتتال، ومن هنا، يلد الألم ألما.

وحتى لا يسود الألم بين النَّاس، ينبغي الأخذ بمبدأ المجادلة حرصًا وتطوّرا وارتقاء، ويجب أن تبدأ المجادلة مع المختلفين من حيث هم عليه اختلافًا، لا من حيث ما يجب أن يكونوا عليه اتفاقًا، فما ينبغي أن يكونوا عليه اتفاقًا هو المأمول الذي من أجله تجري المجادلة بالتي هي أحسن، أمّا المجادلة غِلظة؛ فلا تكون إلّا مع من يستغلظ على الحقّ بغير حقّ، وهنا يصبح المستثنى من جنس المستثنى منه (غلظة بغلظة)، ومع ذلك فللعفو والصّفح مكانة لا يبلغها إلّا من تدبّر أمره حكمة.

ولأنَّ الجدل بالتي هي أحسن وسيلة للارتقاء؛ فينبغي أن تكون أساليبه على الترغيب والتشويق والنّهي والرّهبة والتحذير والإنذار مع مراعاة الفروق الفرديَّة بين المجادلين ارتقاء؛ ففي الجدل الرسائل تُرسل بين المجادلين لكلٍّ حسب ما هو عليه من معرفةٍ، وثقافةٍ، ومعتقدٍ، ومنطقٍ، مع عدم الإغفال عن أهمية الحكمة في إدارة الجدل؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق من نطفة، فإنَّه خصيم؛ ولهذا فهو مجادل؛ ولأنَّه كذلك فمن حقّه أن يجادل، ولكن حرصًا وتطوّرًا وارتقاءً ينبغي أن يجادل بالتي هي أحسن؛ فهو كلّما جادل بالتي هي أحسن كسب قلوب النَّاس، وفي المقابل متى ما استغلظ عليهم استغلظت قلوبهم عليه.

ولذلك فالجدل تطوّرا وارتقاء لا ينفصل عن الحُجّة، مع أنَّ الحُجّة أساسا معلومة مستقلّة بذاتها، وستظل إلى أن تُستخدم أو تُوظّف جدلا، بما يقرّ حقّا أو يؤدّي واجبا، أو يُمكّن من حمْل مسؤوليَّة، ومن ثمّ، فالحُجّة تُفحِم أو تُلزِم من كان على غير حُجّة حتى يُغيّر ما بنفسه، ومن هنا تلد الموعظة والعبرة ارتقاء، وفي المقابل الجدل غِلظة يدخل المجادلين في حلقة الصّدام الذي كلّما انتهى بدأ[42].

ولأنَّ الجدل بالتي هي أحسن جدل حُجّة؛ فينبغي أن يكون على اللين مع تبيان الدّليل والبرهان شاهدا بين أيدي المتخالفين، ولنا في إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام القدوة الحسنة حينما جادل أباه آزر وهو يخاطبه بقوله: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[43]؛ فقوله وهو يجادله رأفة وودّا: (يَا أَبَتِ) وهو يكررها مرات: (يَا أَبَتِ)، هي بهدف صحوة أبيه آزر من الغفلة التي ألمت به، والجهل الذي استحوذ على عقله، وبخاصّة أنّ

42 عقيل حسين عقيل، نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020، ص 95 – 98.

43 مريم: 42 . 45.

إبراهيم لم يخفِ علمه وحرصه ومحبّته له؛ ولذلك كان ارتقاء إبراهيم مؤسّسا على عدم الإكراه؛ فالإكراه حجّة من ليس له حُجّة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[44].

إذن: التواصل سنَّة حياتيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات سواء أكان تواصل مع ذي القربى والجيرة، أم تواصل معتقدات، وأعراف، ولغات، ومعارف، وعلوم، وثقافات، وخدمات، وحضارات؛ ذلك لأنَّ التواصل الاجتماعي تفرضه الظُّروف التي تحركها الحاجة للإشباع النّفسي والاجتماعي والاقتصادي والسِّياسي والذّوقي والثَّقافي.

ولأنَّ المجتمع الإنساني مكوّن مِن تجمُّعات متعدّدة من الأمم والشّعوب، ولانَّ لكل أمَّة شرعةً ومنهاجًا، إذن فلكلِّ أمَّة من الأمم والشّعوب خصوصيّة تميّزها عن غيرها كما يتميّز غيرها عنها بخصوصيَّته؛ ولهذا فإنَّ التّواصل بين الأمم والشّعوب يُظهر المزيد من التفوَّق بأسباب أخذ ما يمكن أخذه من التميّز وإضافته لما تمتاز به الأمم والشُّعوب الأخرى، حتى تستطيع أن تبني حضارة وتتواصل مع حضارات الآخرين بقوّة التميّز التي استطاعت معرفتها وتكوينها أو بنائها؛ ومن ثمَّ فالتواصل الحضاري يمكِّن من المزيد العلمي، والمعرفي، والقيمي، والمادّي، الذي يؤسّس اقتصادًا منافسًا ومتقدِّمًا في العمليَّات المؤدّية إلى إشباع الحاجات.

---

44 يونس: 99.

وحدة الكلمة حُجَّة متساندة ومترابطة:

الكلمة بالنِّسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هي الكلمة الحُجَّة التي يَحتكم بها ويُحتكم إليها؛ ولذا فهي المهنة المتراصّة حُجَّة بحجَّة، مما جعل لها المعيار والقياس، وأيضًا جعل لها الضوابط القيميَّة، وهكذا بالتمام جعل لها الأخلاقيَّات المهنَّة.

وعليه فالحُجَّة دليل وبرهان قاطع للظّن أو الشّك، فبها يُحتكم فيما يُختلف عليه، وبها يتم الاستئناس يقينًا؛ ولذا فعندما تحدث الخلافات بين النَّاس فلا حاسم لأمرها عدالة إلَّا الحقّ وإحقاقه بالكلمة الحُجَّة.

إذن: الأمر الذي جعل من الكلمة (حُجّة) أنَّها دون غيرها هي الحاسمة للأمر عند كل خلاف أو اختلاف، ولا شيء عدالة يرضي المتخالفين غيرها، ولهذا فمتى ما غابت الكلمة الحُجَّة عن المشهد عمَّت المشهد الفوضى.

ومن هنا فإنَّ المعلومة الحُجَّة مرنة تميل إلى الآخرين وتستدعيهم إرادة بما تحمله تجاههم من تفهُّم لظروفهم وهمومهم وما يواجههم من صعاب، وإن لم تكن المعلومة بين النَّاس حُجَّة ومرونة فلن تستدعي أحدًا، وإن دعته الكلمات بغير ذلك أصبحت الكلمات مدعاة لزيادة اتخاذ المواقف حتى بلوغ التطرُّف موقفًا وسلوكًا، وقد يترتَّب على التطرّف أن تكون هناك دمويَّة بين الأنا والآخر، تهلك البشر والعلاقات الاجتماعيَّة، فإن لم يتمّ

استيعاب الآخرين بالحُجَّة والمرونة يصبح التطرّف متعدّدًا، فيُكوِّنُ كتلتين أو أكثر.

ولذا فالاشتراطات في كثير من الأحيان تصدر فوقيّة لمن هم أسفل درجة على درجات السلَّم القيمي الهرمي؛ فهي إملاءات مانعة للاستيعاب ودافعة للتطرُّف، تطلب تنازلات ثم تطلب تقديم المزيد كلّما تمَّ قبول اشتراطٍ من اشتراطاتها، ما يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلا ما يقطع كلّ جذور الاتصال التي يمكن أن تتحقّق.

ففي دائرة الممكن لكلّ فعل ردَّة فعل تضاده في الاتجاه وقد لا تساويه في القوَّة، مما جعل التطرُّف قوّة تساوي أو لا تساوي الفعل الذي تمّ بلوغه بعد تهيّؤ واستعدادٍ وتأهُّبٍ واستخدام وسيلة مشروعة أو غير مشروعة[45].

فالمعلومة تُفكَّك بالمعلومة وتُركَّب بمعطياتها الفكريَّة وفقًا للمتغيّرات المكوِّنة لها؛ ولإنَّها معلومة فهي المركَّبة من النصِّ الحامل للفكرة التي توجّه العقل، وبها يوجَّه أو يصقل عقول آخرين، وهكذا تمتدُّ إلى النهاية التي عندها يتوقّف التطرّف أو تكون نهايته، وبما أنَّ الابتداء لا بدَّ له أنْ ينتهي سلبًا أم إيجابًا، فالتفاوض والتحاور والتجادل والتناقش معطيات لفكِّ الفتيل من الاشتعال؛ فلماذا يغضّ البعض النظر ويتأخر عن فك الفتيل!

45 عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجأ، الطبعة الثانية، 1995، ص 32.

ومن يصل إلى قبول الآخر بأهداف مؤقّتة دون أن يستوعبه هو كما هو؛ فليعلم أنّ نار الانتكاسات أشدّ وأعظم، وعندما تنتكس الأمور يصبح التطرُّف أكثر تنوّعًا وتفرُّعًا؛ مما يجعل العنف الدّموي بين الأقارب والأباعد اعتدالًا على كفتي الميزان.

ومع ذلك فالأقوياء لا يقنطون؛ فالحلّ في دائرة الممكن وإن تعسَّرت الأمور وعظمت ممكنٌ، ويمكن أيضًا أن يكون التوقُّف ذاتيًّا إذا اقتنع الأنا بما ترتَّب على أفعاله من ردود أفعال عندما يعرف أنَّه قد حاد عما لا يجب الحياد عنه، وقد يكون ذلك أيضًا في مقابل اقتناع الآخر بأنَّه قد حاد عما لا ينبغي الحياد عنه، أو أنّ كلًّا منهما قد يئس وتعب فقدَّر جهده وإمكاناته في مقابل تقدير الآخر لذلك؛ مما يؤدّي بهما إلى البحث عن حلٍّ بوسطاء أو من دونهم.

ولذا فالمعلومات التي كان يُعتقد بأنَّها مسلّمات موثوق بها في زمنٍ من الأزمان قد لا تكون كذلك في زمنٍ آخر إذا ما تمّ إخضاعها لقاعدة: (تفكيك المعلومة بالمعلومة) وقاعدة: (تركيب المعلومة بالمعلومة)، مما يستدعي عدم التمسُّك بالأفكار والقضايا وجعلها مسلّمات مطلقة إن لم تكن من المطلق الأعظم.

ولأنَّ الحُجَّة فكريَّة عقليَّة فهي المؤثّرة عندما تكون بين أيدٍ تملؤها المرونة بمستهدفات تقدير الآخر واستيعابه، مما يجعل الفكرة في حالة امتداد

من عقلٍ إلى عقلٍ، وفي مقابل ذلك تتعرَّض المعلومة للانكماش والرفض عندما لا تؤسّس حُجَّة بحجّة.

ولأنّ كلّ شيء يترتَّب على معطياته وسماته وأغراضه وغاياته ومستهدفاته؛ فإنَّ المعطيات تُسهم في تأسيس الحجَّة على الحجَّة، والمعلومة بالمعلومة حتى وإن رُفِضت بداية من الأنا أو من الآخر، فالحجَّة الحقّ قادرة على أن تبقى إلى أن تتمّ العودة إليها من جديد؛ لتكون المتغيّر الرئيس في تحقيق الإزاحة إلى ما يؤدّي إلى حلول ومعالجات وإصلاحات.

وعليه: ينبغي أن تَحلّ المعلومات الصَّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثمّ تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابًا؛ حتى يتمّ تثبيت القول السليم والفعل السليم والسُّلوك السليم بالحُجَّة التي يحتكم النَّاس بها ويحتكمون إليها[46].

إذن: الكلمة الحجّة أساس كل شيء يُمكن أن يكون، فبها صدر الأمر الإلهي كن فكان، وبها يتفاهم الإنسان مع أطرافه، وبها تتخذ القرارات وتصدر الأوامر والنواهي، وبها يتقدّم الإنسان أو يتأخر؛ ولذا فالكلمة الحُجَّة فاعلة عندما تمتد في القول والفعل والسلوك وتترك أثرًا موجبًا؛ ولذا

46 46 عقيل حسين عقيل، قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010، ص 81.

فعلى الباحث أو الأخصائي الاجتماعي عند دراسة الحالات الفرديَّة أو الجماعيَّة أو المجتمعيَّة أن يراعي الآتي:

. أن يكون لسانه لسان صدق مع لباقة ولطف معاملة مع العملاء وبكل موضوعيَّة.

. أن يَقدم على حلّ المشاكل بحُجّة.

. ألا يحلّ مشكلة على حساب أخرى.

. أن يضع في اعتباره عمليَّة الإصلاح ضرورة مهنيَّة تستوجب الاستمرار بحثًا وتقصيًا.

. أنْ لا يتوقّع الاستجابة المرضية منذ البداية.

. أنْ لا يطلب من العميل ما لا يقدر عليه بإرادة.

. أنْ يحدّد الأولويَّات عند القيام بعمليَّة الإصلاح.

. أن ينمي مهاراته بالتفكير والتدبُّر الموضوعي.

. أنْ يكون مرنًا قدر الاستطاعة.

. أنْ يعترف بوجد الصّعب، وأن يقبل بمواجهته وكلُّه ثقة حتى يقهره.

وحدة الاستيعاب تساندًا وترابطًا:

الاستيعاب في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة لا يكون إلَّا عن دراية واستنارة وسعة صدر؛ وذلك بغاية أهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات تبلغ، ومأمولا يتمَّ نيلها.

ومن هنا فالاستيعاب قيمة أخلاقيَّة وفقًا لقاعدة الحقوق تمارس، والواجبات تؤدَّى، والمسؤوليَّات تُحمل؛ ولهذا فالاستيعاب قيمة امتداديَّة تُرسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقًا لقاعدة النسبيّة؛ حيث لا مُطلق إلَّا من عند الله تعالى؛ ولذا تتراتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيًّا على السُّلَّم القيمي من المستوى القيمي الأناني، إلى المستوي القيمي الإنسحابي، إلى المستوى الذَّاتي، ثم إلى المستويين القيميين التطلُّعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيميَّة الخمس تمتدُّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش، ولانَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فانَّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرّفض التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنَّ الاستيعاب قيمة احتوائيَّة تطوي الهوة بين الأنا والآخر، إذن فالقاعدة هي:

استيعاب المختلف يطوي الهوة بين المختلفين والمتخالفين.

والاستثناء هو:

إقصاء المختلف يزيد الهوة بين المختلفين أتساعًا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السُّؤال:

كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمعًا ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنَّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كل أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابيَّة، وهذه قاعدة.

والاستثناء اقصائي، وهذا استثناء.

إذن فقاعدة الاستثناء المهني مشاركة تعني: أنَّ الاستيعاب لا يكون إلَّا على الإيجاب فعَّالًا، ومن هنا فلا يكون إلَّا لمن له الحقّ سواء أكان فردًا، أم جماعةً، أم مجتمعًا.

ومع أنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركةً تقرُّ أن يبدأ الأخصائي الاجتماعي أو الباحث في مجال العلوم الاجتماعيَّة مع المبحوثين من حيث هم، فإنَّها تقرُّ أيضًا أنْ يظل الاستيعاب مشاركة حتى بلوغ الغايات التي من ورائه ونيل المأمول المستهدف الوصول إليه أو الفوز به.

ولأنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة تملأها الإيجابيَّة، وفيها النّفس تأخذ فُسحتها وتطمئن؛ فإنَّ أيِّ استيعاب بلا مشاركة موجبة يعدُّ خاليًا من أيِّ فسحة ولا تجد النَّفس فيها ما يطمئنها.

إذن: الاستيعاب مشاركة هو الاستيعاب المهني المقصود، الذي به الأهداف تُنجز، والأغراض تتحقَّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها.

وعليه: فإنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة لا تكون إلَّا متجاوزة للمختلف عليه بما هو أهم استيعابًا؛ وهي تفتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم، وليس كما يجب أن يكونوا عليه؛ ذلك أنَّ قاعدة الاستيعاب مشاركة لا استثناءات فيها ولا حرمان، كما أنَّها تمنح حيّزًا أخلاقيًّا يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل، مع تقدير ما يختلف به واحترامه، والاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير، وتفهّم ظروفهم، وتقدير أحوالهم، وتقبّل ما يختلفون به، أو بما هم به يتميّزون.

والاستيعاب قيمة تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائمًا الغاية من ورائهما نيل المأمول الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الغير.

والاستيعاب مشاركة يُمكِّن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيّات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها مشاركةً.

. استيعاب السَّلبيّات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف مشاركة وبلا انحياز، ولا عصبيّة، يرسّخ قيمة الإنسان ويمجّد تاريخه؛ انطلاقًا من أنّ الفروق الفرديَّة بين النَّاس مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف مشاركة يجعلهم في دائرة (نحن معًا).

. استيعاب المختلف والمخالف يمكّن من توليد القوَّة وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا يجب أن يكون الاستيعاب مشاركة بلا تردّد، والتقبل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول؛ ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النَّاس بأسباب التدافع عن غير حقّ[47].

وحدة التَّرابط العلائقي تساندًا:

التَّرابط قيمة لا يكون إلَّا بوجود علاقة تربط المختلف مع المختلف والمتنوَّع، في سياقٍ مندمجٍ، وفي وحدةٍ وتعاون واشتراك، والتّرابط لا يكون إلَّا بأسباب التجاذب الذي لا يكون الانكماش من بعده إلَّا افتراقًا.

والتّرابط العلائقي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات لا يكون قويًّا إلَّا بقوَّة الحاجة إليه، وبقوّة الخوف المتوقّعة في حالة ما إذا حدث انفكاكًا وبأيِّ علَّة.

إذن: التّرابط تماسك وظيفي وبنائي، فوظيفي كونه لا يكون إلَّا لغاية، وبنائي كون لا يكون إلَّا على العناصر ذات العلاقة وذات الحاجة.

مع أنَّ للترابط مفهومًا واضحًا فإنَّ ترابطه لا يكون إلّا نتاج أشياء متداخلة فيما بينها اتصالًا بنائيًّا كما هو تداخل مفهوم التماسك والتوافق ترابطًا.

47 المصدر السابق، 57.

والترابط: ظهور علاقة بين متغيّرين أو أكثر، يؤثّر كل منها في الآخر تأثيرًا موجبًا، أو سالبًا، كما ترتبط الحجّة بالحجَّة وتؤثّر فيها، سواء أكان الترابط والتأثير من حيث الفكرة، أم المفهوم، أم الدّلالة، أم المعنى، وهكذا تترابط الفِكَر في الموضوع الواحد حتى تظهر نصًّا متماسكًا.

والترابط كما يكون ظاهرًا في العلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة يكون ظاهرًا في منظومة القيم، والمثال على ذلك: ارتباط قيمة الإنسان بقيم الحريَّة، والعدالة، وممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات؛ وهذا الترابط لا يكون إلَّا ناظمًا لحلقات منفصلة في سلسلة متَّصلة.

أمَّا التماسك فهو انتظام المتجزئ في الجزء المتكوّن منه، ثم انتظام الأجزاء في الكلّ المتكوِّنة منها، ما يجعل الشّيء وحدة واحدة متماسكة في شكلها البنائي كليًّا، ولا يكون التماسك إلّا بين الأشياء المتجاذبة؛ إذ وراء كلّ تماسك قوّة تظهره شكلًا، وصورة، ونهضة بنائيّة، وعلميَّة، وثقافيَّة، وبالتَّالي لا يكون الشيء شيئًا مترابطًا على القوَّة إلَّا بتماسكه.

ولو أخذنا الوثيقة التَّاريخيَّة مثالًا للترابط فلا يمكن لنا أن نتجاهل الماضي الذي كتبت فيه، ولا يمكن لنا قراءتها وتحليلها بمنعزلٍ عمَّا يجب أن يكون في المستقبل عبرة واتعاظًا؛ ولهذا لا يمكن أن يكون التحليل مترابطًا إذا تجاهلنا الخط الذي كتبت به، واللغة التي اعتمدتها، وعلاقتها بالزَّمن، وعلاقتها بمن نُسبت إليه، ومن ثمَّ ينبغي أن يكون تفحّصها متسلسلًا وفقًا لمتغيّراتها (متغيّرا بمتغيّر عبر الزَّمن) وكذلك الأحداث المتضمّنة فيها دون

الغفلة عن اللغة التي كتبت بها، ومثال لذلك: عندما تُكتَب المخطوطة باللغة الفرنسيَّة، وصاحبها الذي نُسبت إليه لم يكن يعرف التّحدث ولا الكتابة باللغة الفرنسيّة؛ فهذه حُجّة تضع الوثيقة موضع الظنّ والشّكّ؛ وبالتَّالي تسقطها وتجعلها خارج دائرة الاهتمام، وهكذا تسقط أيُّ وثيقة إذا كان تاريخها على سبيل المثال: قبل الميلاد، وصاحبها الذي نسبت إليه مولود بعد التَّاريخ الميلادي.

إذن: لا يمكن أن يكون الترابط إلا بدليل وحُجّة، سواء ترابط اجتماعي، أم اقتصادي، أم سياسي، أم نفسي، أم ذوقي، أم ثقافي؛ وذلك وفقًا للترابط الموضوعي ومجالات امتداده كما هو حال:

– الترابط الاجتماعي: الممتد بين الأفراد، والجماعات، والمجتمعات الإنسانيَّة.

– الترابط الاقتصادي: الممتد بين الثروة، والإنتاج، والاستهلاك، والملكيَّة.

– الترابط السياسي: الممتد بين حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليات تُحْمَل.

– الترابط النّفسي: الممتد بين النّفس، والقلب، والعقل، والضّمير، والحواس.

– التّرابط الذَّوقي: الممتد بين المشاعر، والأحاسيس، وملكات التمييز الرّفيع.

– التّرابط الثّقافي: الممتد بين الكلمة، والحُجَّة، والنَّصِّ، والبرهان[48].

ولهذا فالتّرابط يتعدَّد ويتنوّع داخل المفردة الواحدة؛ كما هو حال ترابط السّمع مع البصر، والذّوق واللمس، والمشاهدة والملاحظة؛ ولهذا نلاحظ تترابط الكلمة مع مخرجاتها وصورها البيانيّة والبلاغيّة، ومع طريقة عرضها لكي تصل إلى الآخرين.

وعليه: تُصبح المعلومة حُجَّة بترابطها وترابط معطياتها؛ فعلى سبيل المثال: الترابط بين النّظر والسّمع وبقيّة الحواس والعقل، فما تسمعه الأذن تشتاق العين لرؤياه، وتبتهج النّفس إليه رغبة، فتتحسس ملمسه حتى تتبيّن ما لَحِقَ به من نعومة أو خشونة.

ولذا فلولا ترابط السَّمع مع النطق ما صغينا.

ولولا ترابط الذَّوق مع الطّعم ما تلذذنا.

ولولا ترابط البصر مع الحركة ما لاحظنا.

ولولا ترابط ملكات تفكيرنا ما تذكّرنا وما تفكّرنا، وما استنبطنا وما استقرينا.

48 المصدر السابق، 60.

ولذلك تترابط الكلمة مع الفكرة قبل خروجها على الألسُن، وتترابط مع صياغتها أثناء خروجها، وتترابط مع صورها البنائيّة والبلاغيّة والمنطقيَّة والوظيفيّة بعد خروجها.

وعليه:

. في البناء المتماسك قوّة، وفي البناء المفكّك ضعف.

. يسقط الجدار عندما تزداد فواصل التفكّك فيه.

. يصمد شامخاً كلما زادت درجة التماسك بين لبناته.

. الأفراد والجماعات بتماسكهم تظهر القوّة، وبتفرّقهم يَظهر الضّعف.

ولأنَّ الإنسان في خلقه قوّة.

إذن: من طبعه أن يكون متماسكًا، وإذا لم يكن كذلك، يصبح في مواجهة مع القواعد الطبيعيَّة، ما يجعله في حالة ضعف ووهن؛ والمثال التالي رياضيًّا يبين لنا قوّة العلاقة وضعفها:

$$2 = 1 + 1$$

$$4 = 2 + 2$$

$$3 = 9 - 12$$

ولكن ماذا يعني هذا الأمر، أو على ماذا يدل؟

يدلُّ على وجود رابطة متماسكة قيميًّا. أي إنَّ قوَّة (1) بالترابط مع الآخر تتضاعف.

لذا: 1 + 1 تعني: قوَّة + قوَّة = قوَّة مضاعفة.

2 + 2 تعني: قوَّة مضاعفة + قوَّة مضاعفة = قوَّة أكثر مضاعفة.

12 – 9 = 3 وتعني: قوَّة كبرى أصبحت تقل بكثير عمّا كانت عليه، ولهذا قوَّة ألانني عشر حصانًا تساوي أربعة أضعاف قوَّة الثلاثة حِصان.

وعليه: تزداد القوَّة أو تنقص من حيث الكم، بنسبة الترابط الذي عليه حالة الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وقد يتساءل البعض:

مع أنَّه بالتماسك تزداد القوّة قوّة، إذًا لماذا لا يصحو الضّعفاء من غفلتهم، ويتماسكوا حتى يخرجوا من حالة الضّعف التي هم فيها، أو التي هم عليها؟

والحل هو: إيقاظ الغافلين ومساندتهم على هزيمة الضّعف، ثم تمكينهم من التَّخلي عن مسبباته، وكشف عيوبه، حتى يتمكَّنوا من تجميع عناصر بناء القوَّة.

أي إنَّ حل الإشكالية يتمركز على: العودة إلى القاعدة، والتخلي عن الاستثناء.

ولمزيد من الإيضاح، نأخذ الفرضية القيميّة الآتية: (التفكك العائلي إشكاليّة)، وهذه الإشكاليّة تتطلَّب استبدال مسبَّبات التفكك بمسبَّبات الترابط لأجل الإسهام في معالجة الحالة، فعلى سبيل المثال:

. تشتت الأبناء في أماكن الانحراف، وعدم مبالاة الأب والأم بذلك، يجعل الأسرة في حالة وهن وضعف، لأسباب التفكّك التي ألمت بها.

. تمركز الأبناء والوالدين على قيم المجتمع وأخلاقيّاته المفضّلة، يجعل أفراد الأسرة في حالة ترابط وقوّة.

ولهذا على الباحث الاجتماعي أن يتعرَّف على كل متغير ذو علاقة بالحالة قيد البحث أو الدّراسة، وأن يتذكر التّاريخ، ولا يغفل حتى لا يكرر الأخطاء، وعليه أن يميِّز بين الماضي الذي يتذكّره والحاضر الذي يعيشه، وبين المستقبل الذي لا يخضع ولن يخضع للتذكُّر؛ كونه الزّمن القابل للتفكُّر فقط، ومن ثمَّ فعليه أن يُفكِّر ويتفكَّر حتى يُسهم في إحداث النُّقلة دون أن يغفل عن دائرة الممكن.

وحدة التمييز تساندًا وترابطًا:

التمييز بالنّسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو تمييز وعي ودراية واستنارة فكريَّة وعلميَّة ومعرفيَّة؛ وذلك بغاية معرفة ما يجب وما لا يجب، ومعرفة متى يتم الاقدام على ما يجب، ومتى يتم الاحجام والامتناع عمَّا لا يجب.

ولهذا فالتمييز قيمة تشبع رغبة الرَّاغبين أو الآملين فيما يرغبون ويأملون، وهي القيمة المحفّزة على الاختيار الصَّواب أو الفوز بما هو أكثر قيمة وأكثر أهميَّة أو الأكثر اريحية؛ ولذا فالمقارنة وعي علمي ومعرفي وقانوني وليست بمنهجٍ، بها يتمّ التمييز بين المشاهد والملاحظ، وبين ما يجب، وما لا يجب؛ ومن هنا تعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف أو الخلاف، ونقاط الاتفاق والتنوّع، وإبراز درجات النزوع إلى التمركز، أو درجات التشتت عنه.

وعليه:

. قارن قبل أن تقرّر.

. ميِّز بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

. دقِّق فيما تشاهد.

. لاحظ ردود الأفعال.

. تذكّر القول، ولاحظ الفعل، ثمَّ قارن.

. فكّر في المتوقَّع وغير المتوقَّع ثم ميّز.

. حدّد نقاط التمركز، ونقاط التشتت ثم قرّر.

. انتبه للنّصّ والوثيقة؛ حيث النسخ والتزوير يسري في كثيرٍ منها.

. استمع جيدًا لأقوال الشاهد؛ فهو بين صدقٍ وافتراءٍ، أو بين دراية ولا دراية.

. تجنّب الميل العاطفي؛ فهو مقبرة الحقيقة.

ولذا فما يُمكِّن من التمييز يُمكِّن من المقارنة؛ ذلك لأنَّ التمييز يتضمّن حُكمًا يُدخل الشّخص المميّز في دائرة الموضوع حتى يجعله وكأنَّه جزءٌ منه، فالشّخص الذي يميّز بين الحقّ والباطل ويرتكب فعلًا من أفعال الباطل جعل نفسه جزءًا من الباطل، وفي المقابل من يميّز بينهما ويتخذ موقفًا حقًّا جعل نفسه جزءًا من الحقّ؛ ولذلك يحدث الصّدام والخصام والخلاف بين النَّاس (بين حقٍّ وباطلٍ)[49].

أمَّا المقارنة فتحتوي قرارًا لا يجعل الشّخص المقارن جزءًا من الموضوع قيد المقارنة؛ فالذي يقارن بين زرافة وزرافة، أو شجرة وشجرة، يقارن بين صفات وخصائص لا يمكن أن يكون جزءًا منها.

ومع ذلك فلا تمييز ولا مقارنة من دون سلامة المدركات العقليَّة والحسيّة؛ ومن ثمَّ هناك منطقة تداخل بين مفهوم التمييز والمقارنة؛ من حيث إنَّه لولا سلامة الحواس ما قارنَّا، ولولا المقارنة ما ميّزنا؛ ولذا فما

49 عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 141.

يُمكِّن من التمييز يُمكّن من المقارنة؛ وعندما تجرى المقارنة بين المشاهد والمشاهد، يصبح التمييز بين الجيد والأجود.

وحدة الثَّبات والاهتزاز تساندًا وترابطًا:

مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة لا ترى الأشياء ولا القيم ولا المبادئ ثابتة وكأنَّه لا اهتزاز فيها، بل تراها دائمًا في حاجة إلى التقييم والتقويم بغاية صواب الحجَّة، وصواب الهدف، وصواب الخطة والأمل الذي يكمن من خلفها.

والثَّابت والمهتز مع أنَّهما على مفهومين مختلفين، فإنَّهما يتجسَّدان في الشيء الواحد حركة أو قيمة، ومع ذلك فقد يكون الثَّابت بالأمس هو المهتز هذا اليوم، أو أنَّ الثَّابت هذا اليوم هو الذي كان مهتزًّا بالأمس.

ومن هنا فالثَّبات هو حيويّة الشّيء حركة أو سكونًا، أمَّا الثَّابت فهو الشيء ذاته؛ ولهذا فالثابت يشاهد، أمّا الثبات فيلاحظ، فعلى سبيل المثال: إذا حدّدنا أنَّ الشيء هو اليد (الثَّابت) فاليد قابلة للمشاهدة العينيّة (البصريّة)، أو اللمس حسًّا، ولكن هل يستطيع أحدٌ رؤية حركة اليد؟

بالتأكيد حركة اليد لا تُرى، بل الذي يخضع للرّؤية هو الشَّيء المشاهد (اليد)، وإذا قال أحد نرى الحركة، فليرسم لنا الحركة، إنَّه لن يستطيع رسمها مع أنَّه يستطيع رسم المتحرّك (اليد) ووصفه؛ ولهذا فالثبات حيويّة الحركة والسّكون، أمَّا الثابت فهو المتحرّك أو السَّاكن.

وعليه:

في مقابل مفهوم الثَّابت يأتي مفهوم المهتز، وهو الذي لا يستقر ثباتًا، ولا سكونًا؛ قال تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[50]، أي: تغيّرت الأرض من هامدة (لا حيويَّة) إلى رابية حيويَّة ونباتًا[51].

ومن ثمَّ فما يُعتقد أنَّه على الثبات حركة واستمراريَّة، قد يفاجئك سكونًا، وما يُعتقد أنَّه على حالة من السّكون، قد يفاجئك امتدادًا؛ لأنَّه لا ثبات إلَّا بقوَّة، ولا اهتزاز إلَّا بقوَّة.

ولهذا فالقوَّة قيمة قاعديّة للثبات والحركة؛ فمن يصمد ثبات قوّة، لا يقارن بمن يستسلم ثبات وهنٍ وضعفٍ، ووفقًا لدائرة الممكن فالثَّابت والمهتز كلاهما في حالة حركة، سواء اكانت الحركة سالبة أم موجبة.

وإذا أخذنا القيم والمبادئ مثالًا للتوضيح لعرفنا أنَّ الثبات عليها ثبات أخلاقٍ، والحياد عنها حياد عن المفضّل والمقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا؛ ما يجعل للمصلحين والأخصائيين الاجتماعيين أدورًا متنوّعة، ومتعدّدة في سبيل المعالجة والإصلاح الاجتماعي.

---

50 الحج: 5.

51 عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة قواعد ومبادئ قيمية، القاهرة: 2019، ص 149.

ولذا استمدت المبادئ قوّتها من الثبات، واستمدت ضعفها من الاهتزاز، ومع أنَّ كل شيء في حالة حركة، فإنَّ كلّ شيء قابل للتغيّر والتغيير، والحركة قد تكون مشمولة، وقد تكون محمولة؛ فهي مشمولة بحركة الكون كلّه، وهي محمولة في حركة المتحرك بذاته[52].

إذن: علينا أن نفكّر في الثَّابت كما نفكِّر في المهتز؛ ذلك لأنَّه لا ثبات مطلق في دائرة الممكن والنّسبيّة؛ ولهذا حتى القيم هي ذات ثبات نسبي، ومع أنَّها القابلة للتطوير والتغيير عبر الزَّمن، فإنَّها الأكثر استقرارًا؛ ولهذا فلا فرق بين الثّبات والاهتزاز من حيث أنَّ كل منهما نسبي، والذي جعل كل منهما على حالة من النّسبية، هو التداخل بين الحركة والسّكون، ولهذا الثبات على حالة من الاهتزاز، والاهتزاز على حالة من الثبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيًّا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا، وكذلك لو لم يكن الاهتزاز نسبيًّا ما أصلحت أحوال المنحرفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

وحدة الظَّاهر كمون متساندًا ومترابطًا:

الظَّاهر هو ما ليس بباطن ولا بمخفي الأثر، والكامن هو الذي بيننا وبين ظهوره حِجاب، أو ستار، أو حائل، ومن وراء كمونه عللٌ وأسبابٌ

52 المصدر السابق 179.

ومعطياتٌ؛ ولهذا فالظَّاهر قابل للمشاهدة والملاحظة، أمَّا الكامن فمن ورائه ساكنٌ.

أي: كلّ شيء خاضع للمشاهدة أو الملاحظة هو ظاهر، سواءٌ أكان قولًا، أم فعلًا، أم سلوكًا، أم عملًا وأثرًا، وكل ما خُفي عن ذلك في حيّز الوجود كامن؛ ولهذا فعندما تكون الفرحة ظاهرة على وجوهنا، يكون الحزن فينا كامنًا، وعندما تتوافر اشتراطاته، أو معطياته يفور من حينه ليعلِن أنَّه قوَّة قادرة على مداهمة واختراق كلّ الحواجز التي سترته قبل الظهور.

ومن ثمَّ فالحواس ممكِّنة من الإدراك العقلي لما هو ظاهر في دائرة الممكن، وما هو كامن فيها، ولكن دائمًا عندما يكون الظَّاهر في الصّدارة متحرّكًا يكون الكامن من ورائه ساكنًا، وقد يتماثل الظَّاهر مع الكامن، وقد لا يتماثل، فعندما يكون القول كاذبًا بطبيعة الحال يكون مخالفًا للحقيقة، وعندما يكون صادقًا يصبح مماثلًا لها، وهكذا في كل أمر، وعندما تُترجم الأقوال الظَّاهرة في سلوكيّات وأفعال تمرّ شخصيّة الإنسان حسب مواقفها من الحقيقة بخمسة مستويات قيميَّة هي:

1 ـ الاتزان الانفعالي: لا سالب ولا موجب (ذاتيّة حيث التمركز على قيم المجتمع).

2 ـ الميل لأخذ المواقف السَّالبة: (الميل إلى ما لا يُرضي الآخرين؛ حيث الانسحاب من بعض القيم الاجتماعيَّة).

3 ـ بلوغ قمّة المواقف السَّالبة: (الشخصانيَّة؛ حيث ظهور السُّلوك الأناني، والتفكير في الأنا فقط).

4 ـ الميل لأخذ المواقف الموجبة: (التطلُّع للمرضي؛ حيث المنطق والحُجَّة).

5 ـ بلوغ قمّة المواقف الموجبة: (الموضوعيَّة؛ حيث العقل سيد الميدان مع الرُّقي في حُسن التصرف).

وعليه: مع أنَّ الكامن ليس بظاهرٍ فإنَّه يشغل حيّزًا، وهو قابل للظّهور، ومع أنَّ الكامن غير متيسّر للمشاهدة مع أنَّه يشغل حيّزًا، فإنّه السَّابق على القول والفعل، فلو لم يكن الكامن ما كان الظَّاهر، أي: إنَّ الفكرة أوَّلا، وإظهارها والعمل بها ثانيًا، وهكذا تكون الهيئة أوَّلًا والصورة على هيئتها تأتي ثانيًا.

ولهذا فظهور الكامن وجودٌ يسبق ظهور الظَّاهر مشاهدًا، ومن هنا فالكمون هو أصل الظَّاهر، كما تكمن النّخلة في النّواة، ويكمن الزّيت في ثمرة الزّيتون، وهنا يكون الظَّاهر نواة، والكامن نخلة أو زيتونةً؛ ومن ثمَّ فالكامن قابل للظّهور إذا توافرت اشتراطاته، وقابل للاستقراء والاستنباط كلّما لوحظت ردود أفعاله، وقابل للإثبات والمقارنة كلّما تلمّسنا الأثر وشاهدناه.

ومن ثمَّ يتداخل الظَّاهر مع الكامن في علائق قيميَّة مثلما يتداخل المتوقَّع وغير المتوقَّع في دائرة الممكن، ويسبق الكامن الظَّاهر كما يسبق الإيمان السُّلوك والفعل المترتّب عليه، وكما تسبق الخيانة أو الرّدّة السُّلوك، أو الفعل الذي يرتكبه الخائن، أو المرتد[53].

وحدة الشَّكُّ من أجل اليقين تساندًا وترابطًا:

الشَّك في فلسفة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة لا يكون إلَّا بغاية المعرفة والتبيّن حُجّة بحجّة، ومن ثمَّ فالشّك لا يصمد امام اليقين والتعرّف عليه، ودائمًا الذي يشك في نفسه وجوب التبيّن لكل معرفة؛ ولذا لا يمكن أن يكون الشَّاك ساذجًا، بل لا يكون إلَّا على درجة من الوعي وحُسن التفكير بغاية حُسن التدبُّر.

ومن هنا فالشك عمليَّة عقليّة واعية، ووسيلة علميّة في البحث والتقصي الفطن والتتبّع الدقيق، من أجل التعرُّف بقناعة وانتباه، ولهذا لا يمكن استخدام هذه الوسيلة عند ضعاف القدرات العقليّة، مما جعل الواعين بها متميزين، وجعل البحّاث بها مهتمين وعنها غير غافلين.

ومن ثمَّ يستمر الشّك العلمي إلى أن يصل الشَّاك أو الباحث المتفحّص إلى الثّقة في المعلومة التي يتقصى حقائق وجودها، أو إثبات عدم وجودها أو بطلانها.

53 المصدر السابق، 152.

ولذا فعلى الباحث أن يحلل ويتعرّف على العلل والأسباب بيقين لا بسذاجة؛ وذلك لأنَّ التحليل العلمي هو الذي يعتمد على الشَّك من أجل اليقين، لا من أجل الشَّك في حد ذاته، ولهذا يشكّ الباحث في المعلومة المنقولة أو المسموعة إلى أن يتأكد بإثبات وبرهنة علميّة، مما يجعله يقبل أو يرفض بقناعة وموضوعيّة.

هذا ويجب أنْ لا يغفل الباحث الاجتماعي في دراساته للحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة عن المنطق المعتمد للحُجّة والبرهان؛ حيث من المنطق أن تحلّل المعلومة في زمانها لا في زمان لاحق عليها، ومع ذلك ليس كل من يعتمد المنطق يعتمد الأسلوب العلمي في البحث والتقصي الموضوعي؛ ولذا لم يكن المنطق هو كل شيء في التحليل العلمي إن لم يكن له مصادق.

ولذا فالمنطق إذا فقد المصادق فقد البرهنة العلميّة وأصبح تعبيرًا بلا حُجَّة تسنده، فإذا أخضعنا على سبيل المثال: منطق أرسطو للقياس حسب القولبة الجاهزة التي توضع فيها المقدمتان والنتيجة نُلاحظ أن المقدمتان قد تؤدّيان إلى نتائج شكيَّة أو خاطئة مما يجعل الباحث يشكّ في كل مقدّمة إلى أن تثبت بالمصادق.

فإذا تفحّصنا القضيّة الآتية، نلاحظ الخلل الذي تحتويه:

كل الحيوانات تخاف الأسد.

اللبؤة حيوان.

إذن اللبؤة تخاف الأسد.

نلاحظ أن هذه القضيّة كاذبة لعدم وجود مصادق لها، لأنَّ اللبؤة هي التي أنجبت الأسد، بعاطفة الأمومة والأبوة، والمحبَّة الفطريَّة الغرائزيَّة.

ولهذا ترتبط اللبؤة مع الأسد بعلاقة استئناس ومودّة، مما جعل بينهما مداعبة غرائزيَّة.

وحدة المبادئ تساندًا وترابطًا

المبادئ هي أُسُس البناء اللغوي، أو التنظيمي، أو القانوني والتشريعي؛ حيث القوانين تُقرَّر، والاستراتيجيَّات تُرسم، والمستقبل المأمول يُصنع، وهي المبيِّنة للكيفيَّة التي ينبغي أن تصمَّم الأشياء عليها مهما تعدّدت وتنوَّعت واختلفت؛ ولذا فالمبادي ثوابت في دائرة الممكن بها يقاس المختلف والمخالف وبها تصدر الأحكام الجمعيَّة، ومن هذه المبادئ المتساندة والمترابطة التَّالي.

وحدة ممارسة الحقوق تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ ممارسة الحقوق من الأمور الطبيعيَّة؛ فإنَّ المعيقات بين الحقِّ وممارسته عظيمة؛ وذلك بأسباب امتداد الأنا على حساب حقوق الغير، ومن هنا تلد المظالم، وتصادر الحقوق، وتقيَّد الحريَّات، ومن ثمَّ تشب نيران الفتن، ويسود الخلاف والصِّدام وتتأزَّم الأحوال، مما يجعل البعض مُشبع الحاجات والبعض الآخر في حاجة وعازة.

ولذا فالحقوق على المستوى الإنساني هي ما يخصّ الفرد والجماعة والمجتمع والشُّعوب والأمم ويمكِّنهم من العيش دون حرمان من أيّ شيء يمكن أن يكون مشبعا لحاجاتهم المتنوّعة والمتطوّرة؛ ولذلك الحقوق تؤخذ بلا إذن من أحد، وأن سُلبت من قِبل البعض فالمطالبة بعودتها ضرورة، وأن ظهرت الممانعة أو الاعتراض على عودتها لأصحابها وجبت المواجهة.

وحدة تأدية الواجبات تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ الواجبات تؤدَّى مقابل حقوق تمارس؛ فإنَّ البعض لا يميّز بين الحقِّ والواجب، ومن هنا نجد معظم النَّاس يطالبون بحقوقهم، وفي المقابل لا يقدمون على أداء واجباتهم، وإن قدموا على أدائها لا يتحمّسون لأدائها بفاعليَّة؛ أمَّا الذين يؤدون واجباتهم وعيًا ودراية فالرَّغبة تدفعهم إرادة مع وافر الاعتزاز.

ومع أنَّ الواجب يؤدّى، فإنَّ أداءه لا يستوجب إثابة عليه من أحدٍ، وفي المقابل من لا يؤدِّي واجباته يجد نفسه أمام المساءلة والعقاب أن لم يكن له عذر مقنع.

وقاعدة الواجب تقول:

الواجب قيمة، أداؤه مبدأ، ومن لم يؤدِّيه عن إرادة فستكون الشَّرائع والأعراف والقوانين كفيلة بإلزامه.

والواجبات في دائرة السِّياسة تؤدّى في مقابل حقوق تؤخذ وتمارس، وأداء الواجبات هو الذي يجعل الذَّات الفرديَّة أو الجماعيَّة والمجتمعيَّة في حالة الإيجاب، أمّا اقتصار الفرد أو الجماعة والمجتمع على أخذ الحقوق فقط؛ فإنَّ ذلك يجعل المستلم طرفًا سلبيًّا، والذي يغيّره إلى حالة الإيجاب هو أداؤه الواجبات؛ فمن الواجب أن تعمل وتفعل وتسلك في مقابل ما أخذت أو أعطي إليك، وهذا لا يعني أنَّ الحقوق والواجبات هما المرتكزان

ولا شيء غيرهما في ممارسة الديمقراطية، بل هناك شيء آخر من مكوِّناتها الرّئيسة ألا وهو المسؤوليَّة؛ التي بدونها لا يمكن أن يؤدَّى الواجب بنجاح، وكذلك المسؤوليَّة هي الأخرى لا تؤدّى بنجاح إلّا والواجب يصاحبها.

ومن ثمّ فالعلاقة قويّة بين ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وتُحْمَل المسؤوليَّات، والعلائق في مجملها هي نتيجة وجود طرفان أو أكثر، ممّا يستوجب أن يسود الحوار بينهم حتَّى يسري أو يسود القبول والتقارب والتفاعل، أو يسود الرّفض والابتعاد والفرقة، أو يسود الانسحاب، وفي حالة القبول والتّفاعل الذَّاتي تتكوّن العلاقات، وتقوى الروابط الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، وعندما تتكوّن العلاقات يترتّب على ذلك بالضرورة (أخذٌ) كما هو مبيّن في الحقوق، و(عطاء) كما هو الحال في الواجبات، أي إنَّ العلاقة بين المسؤوليَّات والحقوق والواجبات هي علاقة (قرار، وأخذ، وعطاء). أيّ: في اتخاذ القرار مسؤوليَّة، وفي الأخذ حقوق، وفي العطاء واجبات.

وحدة حمْل المسؤوليَّة تساندًا وترابطًا:

حمل المسؤوليَّة عبء، ومع أنَّ أمر حملها ليس بهينٍ، فإنَّ النَّاس كلّ النَّاس تحب أن تكون مسؤولة وإن كانت مستويات المسؤوليَّة دنيا، ولهذا فمبدأ حمل المسؤوليَّة يرسّخ أهميَّة تفريق أعباء المسؤوليَّة من خلال الكل يكون مسؤولًا على كل ما يتعلق به من أمر، ومن هنا فمبدأ حمل المسؤوليَّة هو: (ممارسة أفراد المجتمع وجماعاته لحقّوقهم، وتأديتهم لواجباتهم يمكِّنهم

من تحمّل أعباء مسؤوليَّاتهم، في كل ما يتعلّق بهم من أمر، وفقًا لقدراتهم واستعداداتهم وتأهيلهم، الذي يُمكنّهم من تأدية وظائفهم في البيئة الاجتماعيَّة، ويشبع حاجاتهم من الرِّضا الاجتماعي والنَّفسي).

ولهذا فحمْل المسؤوليَّة حقّ للفرد والجماعة والمجتمع؛ ولأنَّها حقّ عام، فتعميمها قاعدة، وتخصيصها استثناء. ويقصد بالتخصيص هنا، هو أن تصبح قاعدة تعميم المسؤوليَّة ذات خصوصيَّة، فتقتصر على فردٍ أو جنسٍ أو لونٍ أو دينٍ يحملها على حساب الآخرين، أمَّا التعميم فيعني أنَّها تعم كل فرد وجماعة ومجتمع، وكل جنس أو دين أو لون، ولهذا لا ينبغي احتكارها من قبل فئة أو قبيلة أو طائفة أو أي مسمَّى من مسمَّيات الاحتكار.

ولذا فإنَّ حمْل المسؤوليَّات يعني الآتي:

1 . صلاحيَّات تمارس.

2 . اختصاصات تؤدّى.

3 . حقّوق مصانة.

4 . واجبات يتم الالتزام بها.

5 . أعباء يتم تحمّلها.

6 . أدوار تُلعب.

7 . نُظم تُسن لها القوانين.

وحدة استبصار الذَّات تساندًا وترابطًا:

لا شكَّ أنَّ الاستبصار تفحّص تشخيصي يمكّن من المعرفة الواعيّة والدِّراية التَّامَّة وهو: (الإيمان بأنَّ لأفراد المجتمع قدرات واستعدادات متنوِّعة ومتعدِّدة يستوجب تنميتها قيميًّا، وتهيئتها لِما يُمكّنهم من إدراك الحالات التي هم عليها؛ ليتمكّنوا من النّهوض إلى مستويات تجعلهم قادرين على مساعدة أنفسهم، وهم في حاجة للتعبير المقصود عن مشاعرهم الكامنة، وأحاسيسهم التي تُمكِّنهم من التفاعل، والاعتبار القيمي للذّات، فلكلِّ فرد وجماعة خصوصيَّة يتميّزون بها عن غيرهم، ولكلٍّ منهم طريقة، وأسلوب، ومنهج في التعبير عن الخصوصيَّة الذاتيَّة التي تحتوي المعتقد الدِّيني، والعرفي، والثَّقافي، والحضاري في تكوين الهويَّة).

ويحتوي مبدأ (استبصار الذَّات) القواعد القيميَّة الآتية:

. تنوّع القدرات الفرديَّة وتعدّدها.

. تنوّع الاستعدادات الفرديَّة وتعدّدها.

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. التفطين من الغفلة.

. التمكّن من الإدراك.

. التمكّن من النّهوض.

. القدرة على المساعدة.

. العودة إلى البيئة الاجتماعيَّة.

. الاندماج الاجتماعي.

. التفاعل الاجتماعي.

التعبير عن الحاجة.

. إظهار المشاعر الكامنة.

. إظهار الأحاسيس.

. التمكّن من التفاعل.

. اعتبار الذَّات.

. تمييز الخصوصيَّة.

. كشف الأسلوب.

. استنباط المنهج.

. الدّين معتقد إلهي.

. العرف مكوّن اجتماعي.

. للخصوصيَّة الاجتماعيَّة ثقافة.

. الفكر الاجتماعي.

. الحضارة بناء.

. الذَّات مقوّم للهويّة.

وعليه فإنَّ استبصار الفرد لذاته أو الجماعة أو المجتمع لذواتهم يمكّنهم من معرفة علائقهم بالقيم الاجتماعيَّة.

ولذا تتعدّد مجالات الامتداد الضَّميري اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا ونفسيًّا وذوقيًّا وثقافيًّا بما يُكوّن الأنا التي تعتزّ بشخصها وبتاريخها وتتغنَّى بأمجادها، وبما كوَّن ذاتها التي أظهرت وأبرزت شخصيَّة الاعتزاز في النَّفس حتى نالت احترام وتقدير الآخرين.

إذن: تتجَسد الذَّات في الأفراد فتجعل حال لسانهم جمعيّا حتى وإن انفردوا أو تفرّدوا، ولهذا كان إبراهيم عليه السَّلام أمّة قانتا لله؛ إذ كان حال لسان إبراهيم حال لسان أمته، مما يدلُّ على تجسّد الأمّة وفضائلها الخيّرة وقيمها الحميدة في نفسه حتى أصبح حال لسانه لسانها وفعله فعلها وأمانيه أمانيها، وهكذا إذا تجسدت في أي فرد ذات الأمّة أو المجتمع يصبح حاله حالها وأمله أملها ومستقبله مستقبلها وعزّته عزتها وألمه ألمها وكرامته كرامتها.

وحدة نيل الاعتراف تساندًا وترابطًا:

الاعتراف قيمة إثبات وجود الآخر الذي له من الأهميَّة ما يساوي أهميَّة الآخرين، وهي القيمة الانتشاريَّة التي يرغب الكل في نيلها من الكل؛ فهي تربط الفرد بالمنزلة، وتربط الخصوصيَّة بالمكانة.

ومع أنَّ العبوديَّة من المحرمات الإنسانيَّة فأنَّ الذي تجبره الحاجة على قبول العبوديَّة يريد هو الآخر أن يعترف له سيده بأنّه عبدٌ ناجحٌ؛ ولذلك فإنّ جميع النَّاس يريدون نيل الاعتراف من الجميع. ومن هنا نجد الوالدين يخلصان في رعاية أبنائهما؛ لكي ينالا منهم الاعتراف. ويحاول الأبناء أن يكونوا صالحين لكي ينالوا الاعتراف أوَّلًا: من آبائهم، وثانيًا من الآخرين. وهكذا المسؤول الديمقراطي يكد ويجد لكي ينال الاعتراف من ذوي العلاقة به. وفي مقابل ذلك نحتفظ بأنّ لكل قاعدة شواذّ.

ولذا فمن الضَّرورة أن يُحسّس الأنا الآخر بأهميته، وأن يعترف له بوجوده وبمقدرته على العمل والمشاركة والتفاعل والعطاء إلى النهاية؛ لأنَّ الاعتراف المتبادل يقوي العلاقة بينهما ويسهم في غرس الثِّقة.

وعليه: تمكين أفراد الشّعب من نيل الاعتراف بأنّ لهم حقّوقا، يمكّنهم من ممارستها، وأنّ لهم واجبات يمكّنهم من أدائها، وأنّ لهم مسؤوليَّات يمكّنهم من حملها وتحمّل ما يترتَّب عليها من أعباء جسام. وهكذا لعب الأدوار يزيد المجتمع وحدة وتماسكا. وهكذا الاعتراف بما يقوم به أفراد

المجتمع من جهود ناجحة يزيد من عطائهم الموجب، ويدفعهم إلى المنافسة الشاملة.

وبما أنَّ نيل الاعتراف بما يلعبه الأفراد والجماعات من أدوار موجبة يزيد من عطائهم الموجب ويمكّنهم من التفاعل والتعاون. إذن نيل الاعتراف ضرورة فلا ينبغي لنا إغفاله.

(ممارسة الحرِّيَّة بأسلوب ديمقراطي وبكل شفافيَّة يُمكّن أفراد المجتمع من تقرير مصيرهم بإرادة على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، ويمكّنهم من تحمّل الأعباء المترتّبة على ممارستها مما يجعلهم متمسكين بممارسة حقّوقهم وأداء واجباتهم وحمْل مسؤوليَّاتهم).

يحتوي مبدأ (حقّ تقرير المصير) على القواعد القيميَّة الآتية:

. اعتماد الدِّيمقراطيَّة.

. اعتماد الشَّفافيَّة.

. تقرير المصير بإرادة.

. التمكّن من المشاركة.

. التمكّن من اتخاذ القرار.

. ممارسة الحرِّيَّة.

تحمّل أعباء الإرادة.

- ممارسة الحقّوق.

- أداء الواجبات.

- جمْل المسؤوليَّات.

وعليه فإنَّ تقرير المصير حقّ للفرد والجماعة والمجتمع؛ ولذا فمن لا يقرر مصيره ولا يشارك في تقريره هو في حالة شاذّة.

وحدة اعتماد السِّريَّة تساندًا وترابطًا:

يتمسّك الأخصائي الاجتماعي بمبدأ السِّريَّة في أثناء تعامله مع العميل وحالته المدروسة، لأنَّه مبدأ مهني إنساني؛ ومع أنَّه لا يمكن أن يتستَّر الأخصائي عن العملاء، فإنَّه في دائرة الممكن ليس له بدًّا من سترتهم.

ولذا فإنَّ السترة قيمة أخلاقيَّة ذات أبعاد إنسانيَّة؛ ذلك أنَّ المعلومة كالملبس الذي يستر من يرتديه، والذي بدونه يصبح الإنسان عاريا، وهذه تعد في جميع القيم الإنسانيَّة نقيصة أخلاقيَّة.

أمَّا التستُّر فهو إخفاء الحقّيقة، أو تزويرها وهذه من العيوب المتفق عليها في المجتمع الإنساني، ومهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تلتزم في مبادئها، بالتمسك بالقيم والفضائل الإنسانيَّة.

ولهذا لا يمكن أن تتستَّر عن العملاء، بل تعترف بما أقدموا عليه سواء كان سلبيًّا أو إيجابيًّا، وتقدم على إصلاحه بعد دراسة وافية؛ ولهذا فهي مهنة تؤمن بأن التستُّر عن الحقَّائق يفسح المجال أمام انتشار الرَّذيلة، التي

يستوجب القضاء عليها أينما ظهرت وبمن حلت تقديرًا واعتبارًا لكل خصوصيَّة.

وعليه فالوجوبيَّة تتطلَّب:

. طاعة الخالق.

. سترة من ينبغي أن يُستر.

. طاعة الوالدين.

. رعاية القصّر.

. ممارسة الحقّوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسؤوليَّات.

. الإخلاص في العمل.

. التذكُّر والتّفكُّر مع كل ملاحظ ومشاهد.

. تقديم المساعدة الهادفة.

. مناصرة المظلوم.

. المشاركة في الأمر.

. التسامح مع امتلاك القوَّة.

. التفاعل والتعاون والتّطلُّع للمفيد والنافع.

. حفظ الأسرَّار.

. استيعاب الآخر.

. التأهل والمنافسة بتوازن واعتدال.

ولذا فإنَّ كل وجوبي ينبغي أن يؤدَّى أو يُقدّم بلا تنازلات.

ولذلك يختلف عن الضروري الذي لا يؤدَّى ولا يقدَّم إلا بها.

وعليه فالضَّرورة تتطلّب:

. الرَّفض عند الضَّرورة.

. تكيف السَّجين مع السّجن.

. أخذ الدّواء عند المرض.

. تخدير المريض لإجراء العمليَّة.

. الاختلاف والصِّدام والنِّزاع.

. المشي على العكاز عند الوهن.

. وضع الأحداث والمنحرفين في الإصلاحيَّات.

. تحديد الموقف من الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر.

. البوح بالسِّر أو نشره.

ولأنَّ كل ذلك يحدث بأسباب الضَّرورة، لذا فهو يُقدَّم بتنازلات.

وحدة تبادل الاحترام تساندًا وترابطًا:

الاحترام في ذاته قيمة، ولكن تبادل الاحترام لا يكون إلَّا مبدأ من المبادئ الرَّئيسة لرعاية الأفراد وتنظيم الجماعات والمجتمع؛ ولذا فالإقرار بمبدأ الاحترام respect هو سيادة للشُّعور المرغوب والمفضَّل بين الأنا والآخر، ومن يناله يشار إليه بالمحترم، ومن لم يبلغ نيله يظل في حاجة إليه، إنّه الصفة الأخلاقيَّة المفضلة والمرغوبة عند النَّاس. ويقول فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التَّاريخ: نطمع في أن يحترمنا الآخرون بالطَّريقة التي نعتقد أنّنا نستحقّها؛ ولذا عدم تجاهل الآخر فيما يجب أن يمارسه أو يؤدِّيه أو يقوم به، يجعل بين الأنا والآخر لغة ومنطقا مقدّرين[54].

ولأنَّ الاحترام قيمة حميدة فتبادله مبدأ أخلاقي وإنساني وتشريعي: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أو رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبا}[55]، أي: أنّه مبدأ مقرّ من الأديان والإنسانيَّة.

وعليه: الاحترام منبع قيمي يمكّن النَّاس من التواصل والاستمرار به وكأنّهم أخوة، وهو منبع أمل يرجوه الجميع، ويأملون نيله من بعضهم

---

[54] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ص 7.

[55] النساء 86.

البعض، وذلك بما يُثبّت علاقاتهم على الفضيلة وحسن المعاملة، وإظهار التواد بينهم وكأنّه الغاية المأمولة.

ومع أنَّ النَّاس مختلفون فيما بينهم، فإنَّ لهم من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة ما يجمعهم ويوحّدهم احتراما، ولأنّ الاختلاف قيمة إنسانيَّة فَلِمَ لا يتمّ احترام المختلف بين المختلفين من النَّاس؟

وحدة ردّ الاعتبار تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ الاعتبار قيمة ويسعى الكل للفوز بها، وبها يتوَّج من يستحقّها من الأفراد والجماعات والمجتمعات، فإنَّ ردّ الاعتبار مبدأ قيمي أخلاقي به تتم الرِّعاية للأفراد والجماعات، وبه المجتمع يُنظّم وفقًا للخصوصيَّات التي تقرَّها المبادئ النَّاهضة.

ولأنَّ الاعتبار قيمة حميدة مفضّلة، فردّ الاعتبار مبدأ تقرّه القيم والفضائل الخيّرة، وكلّ النَّاس في حاجة إلى ردّه كلّما حاول من حاول الاعتداء عليه أو المساس به. ولهذا القاعدة المنطقيَّة تقول: اعتبرني أعتبرك وإذا تجاهلت اعتباري فلا تنتظر اعتبارا منّي.

ولأنّ ردّ الاعتبار خصوصيَّة فهو خصوصيَّة كلّ الخصوصيَّات سواء أكانت على المستوى الفردي أم الشّعبي أم الوطني، أي: أنّ ردّ الاعتبار في ذاته اعتراف بقيمة الآخرين وتقديرهم تقديرا يرسّخ مكاناتهم ويحترم

خصوصيَّاتهم العرفيَّة والدِّينيَّة والثَّقافيَّة والذَّوقيَّة والاجتماعيَّة والنَّفسيَّة والثَّقافيَّة.

وعليه؛ فالاعتبار لا يكون إلّا بحُسن الخُلق، والقدوة الحسنة، في القول والفعل، والعمل، والسُّلوك، ولكن إن لم يعتبر البعض بعضا؛ فإنَّ فقدان الاعتبار يفسح مجالات الرَّفض، والتمرّد، والثورة التي تمكّن الرّافضين للظلم من بلوغ الحلّ، الذي به يتمكّنون من ممارسة حقّوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسؤوليَّاتهم؛ فيتخلّصون من ذلك المؤلم سياسيًّا، ونفسيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وذوقيًّا[56].

فالاعتبار قيمة حميدة يؤدِّي إلى سيادة الاحترام المتبادل، ويؤدِّي إلى التقدير المتبادل، ويؤدِّي إلى التقبّل المتبادل، ويؤدِّي إلى الاستيعاب المتبادل، ومن ثمّ يؤدِّي إلى التفاهم والتفهُّم ورسم السياسات، والعمل على إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات المشتركة بين النَّاس أفرادا وجماعات.

وحدة استشعار التفهُّم تساندًا وترابطًا:

التفهُّم قيمة الإلمام بالموضوع والظُّروف المحيطة به والمعطيات التي أوجدته وأظهرته على السَّطح، وهو دراية عن كثب ومعرفة تامّة بالأسباب والعلل والمبررات والخفايا السَّالبة والموجبة. أمّا استشعار التفهُّم مبدأ لطي الهوة بين الأنا والآخر، فإنّه تقدير للظّروف التي أثرت على الحالة أو أثرت

[56] المصدر السابق، ص 154.

على السُّلوك أو الفعل والعمل، وهو دراية بما ينبغي أن يتمّ حيالها، وكيف ومتى وأين يتمّ؟

فاستشعار التفهُّم مبدأ به يُقدِّر الأنا الآخر عندما لا يكون تمدده على حساب تمدد الغير. وباعتماد التفهُّم قيمة مفضّلة بين الأنا والآخر تقدّر ظروف كل خصوصيَّة وتحترم؛ مما يؤدِّي إلى تفعيل مبدأ التقبّل الذي يترتَّب عليه تأثير وتأثر موجب، وتخفيف للآلام وعلى ضوئه يتحقّق التوافق الاجتماعي.

ولأنَّ التفهُّم قيمة فالاستشعار به مبدأ، ولهذا إن أردنا تفاعلا وتوافقا أو تكيّفا ونجاحا علائقيا فعلى الأنا أن يظهر تفهّمه لظروف الآخر من خلال استشعاره بما يظهره تجاهه من تفهّم، ومن خلال تقديره للحقَّائق (هي كما هي) لا كما يجب أن تكون عليه، فما يجب أن تكون عليه هو الذي يستوجب استشعار التفهُّم تقديرا للظّرف أو الخصوصيَّة.

وحدة الاتزان الوجداني تساندًا وترابطًا:

الاتزان ضبط مشاعر، وتحكُّم في الأحاسيس، حتى لا تنجر بأصحابها في دائرة السَّلبيَّة فتصبح حالاتهم على الخلل السُّلوكي؛ ولهذا فمبدأ الاتزان الوجداني مبدأ اعتدالي؛ حيث لا ميول وهو: (الاتزان الوجداني إدراك عن حكمة وموضوعيَّة لكلِّ ما يؤثِّر سلبيًّا أو إيجابيًّا على ما يحقّق التفاعل المتزن بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو يصقل الشخصيَّة، ويتوّج سلوكها بالثَّبات على كل مفيد ونافع، مع إظهار الحُسن الإرادي في

القول والفعل؛ تهذيبًا للذَّات والضَّمير، وتقديرًا لمن هم في مركز البيئة الاجتماعيَّة ومن في محيطها الإنساني).

وحدة غرس الثِّقة تساندًا وترابطًا:

الثِّقة trust قيمة معياريَّة تستوجب معطيات موضوعيَّة ومنطقيَّة، فمن يكون مَحَلا لها ينالها، ومن لا يكون سيكون محلا للظنون التي في مقابلها تسود الخيانة والتآمر. وعليه كلّما سادت الثِّقة بين النَّاس سادت الطمأنينة، وكلّما انعدمت سادت المخاوف. ولا سبيل لغرس الثِّقة إلّا الإرادة.

وعليه عندما يشكّ الرئيس في شعبه فأين يا ترى سيجد مكانا لغرس الثِّقة؟ وعندما يشكّ الشّعب في رئيسه فهل يمكن أن ينام الرّئيس هانئا؟ وإذا ما ساد هذا الشعور والإحساس بين الشّعب والحكومة فهل يمكن أن يجد الإخلاص محلّا له في البلد أو الإقليم أو القطر؟

ولهذا ينبغي أن تغرس الثِّقة بين الأنا والآخر؛ قولا وسلوكا وفعلًا وعملا من خلال غرس القيم والفضائل الإنسانيَّة في نفوس كلّ من يتعلّق الأمر بهم حتى يتحرروا من المشاعر والأفكار السلبيّة التي تعوق تفاعلهم مع الغير.

ومع أنَّ (الثِّقة) ليست مادة يُمكن التحكم في عناصرها في المعامل والمختبرات. فإنّها مادّة قيميَّة لا تُبنى شخصيَّة الأفراد والجماعات والمجتمعات إلّا بها. ولهذا فإنّ البناء مثلما هو مادّي فإنّه معنوي.

ولكن بينهما فرق يكمن في الآتي:

البناء المادّي سريع وميسر، وعمره الزَّمني قد لا يطول.

أمّا البناء المعنوي: فبطيء وصعب، وإذا ما تحقّق فعمره الزَّمني قد يطول.

ومع ذلك فإنّ لكل شيء نهاية بالرّغم من التفاوت في زمن البقاء والصّمود والثبات.

الثِّقة: قيمة تُغرس في الإنسان بعد أن يوضع في محكّات عمليَّة ويجتازها بنجاح. وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي، إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثِّقة في نفوس الأفراد والجماعات حتى تنعكس في السُّلوك والفعل تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين، ولذا عندما يثق الأفراد في ذواتهم ويثقون في الغير يتمكّنون من التفاعل المفضّل.

وبالرّغم من أنّ مبدأ غرس الثِّقة يتطلَّب برمجة قيميَّة، فإنّ الثِّقة إذا استوطنت ذهن الفرد ونفسه، تصير في ذاتها برمجة عقليَّة نفسيَّة، تعمل على برمجة الفرد وتحفيزه على النَّجاح والإبدّاع.

فالثِّقة تبرمج العقل إيجابا بأنّه قوَّة، وأنّه قادر على التّطلُّع والإبدّاع. وفي مقابل ذلك انعدامها يبرمج العقل سلبًا بأنّه ضعيف، وأنّه غير قادر على التّطلُّع والإبدّاع.

وحدة التماس الاستيعاب تساندًا وترابطًا:

الاستيعاب assimilation قيمة احتوائيَّة لا إقصائيَّة، تعتمد تقبّل الآخر والاعتراف بوجوده وبممارسة حقّوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤوليَّاته. واستنادا على مبدأ التقبّل يستوعب الأنا الآخر كما هو لأجل أن ينقله إلى ما يجب أن يكون عليه. ولذا لا تتم عمليَّات التفاوض ولا تُحل المشاكل بين النَّاس إلا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب ويؤدِّي إلى التفاهم.

فالاستيعاب يُمكِّن الأنا والآخر من الإلمام بالموضوع ومتغيراته السلبيّة والإيجابيَّة المؤثرة فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، ويُمكِّن من التشخيص الموضوعي الذي يستوجب منهما ألّا يغفلا عن:

1 . استيعاب الإيجابيَّات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسطة، تمكنهم من المعرفة، وتحفِّزهم على العمل.

2 . استيعاب السلبيَّات، وتحديدها، وإبراز عيوبها وأسبابها والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

ومن ثم لم يكن التحليل الاستيعابي إبقائيا بالتمام، ولم يكن غرضه تثبيت المعلومات كما هي (سالبها وموجبها) بل إنّه تحليل تثبيتي إيزالي، به

تُثبّت المعلومات الموجبة، وتُزال السَّالبة، ولهذا يتم استيعاب المعلومات السَّالبة كما يتمّ استيعاب المعلومة الموجبة، من أجل معرفة نقاط الاتفاق والاختلاف، حتى تتم عمليَّات التثبيت للموجب المفضَّل، والإزالة للسّالب المؤلم.

ولهذا فإنّ التماس الاستيعاب مبدأ احتوائي، يقبل بالاختلافات ويعمل على احتوائها، ثمّ التجاوز لما هو أكثر أهميَّة. أي: من طبيعة الخلق أنّهم لا يمكن أن يتساووا في القدرات والاستعدادات والمهارات ولا حتى في الرغبات والحاجات، ولا في درجة الفهم والمعرفة، ومن ثمّ فمن الضَّرورة سيكون الاختلاف الذي يستوجب التقدير، حتى تتمم الفروق الفرديَّة بين النَّاس بعضها البعض. ولهذا كل مفردة هي في حالة نقص، ولا تستكمل إلا بآخر يستوجب الاستيعاب. وإن لم يحدث الاستيعاب تصبح الفرقة بين النَّاس هي السائدة، ولأجل ذلك فإنّ قيم ممارسة الدِّيمقراطيَّة وحدها التي تمكّن من الاستيعاب وبدونها لا يمكن أن يتحقّق التفهُّم والتفاهم بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وحدة تبادل الخبرة تساندًا وترابطًا:

مع أنَّ الخبرة صفة الخبير؛ فإنَّ صفة الخبير تتعدّد بتعدّد كفاءاته وخبراته وتخصصاته وما يؤهّل عليه مهنة وحرفة؛ ولذا فتبادل الخبرة: (إدراك كفاءة المتخصصين والخبراء في كافة فروع المعرفة المتنوِّعة وتقدير دورهم في التصرُّف مع المواقف العمليَّة، يُسهم في تحوّل أفراد وجماعات المجتمع إلى

الأفضل ويمكّنهم من التواصل واستيعاب الجديد المفيد في رسم الخطط وإعداد البرامج الهادفة لتنمية وتحسين الأداء وحل ما يواجههم من مشكلات).

وحدة استبصار التقبُّل تساندًا وترابطًا:

التقبُّل acceptance: استعداد نفسي وأخلاقي وإنساني ومهني لإعطاء الآخر حيّزا من الاستيعاب، وفسحة تسمح بالامتداد المتبادل بين المتقابلين؛ تقديرا لقيمة الإنسان، وليس تقديرا للانحرافات عن القيم والقوانين المصاغة والمعتمدة من أفراد المجتمع وجماعاته. وعندما يصبح التقبّل حقّ للأنا والآخر يظل مبدأ لاستبصار الحقّيقة. ويتمركز مبدأ استبصار التقبّل على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واحترام معارفه وثقافته والعمل على تغيير حاله إلى ما يجب ثم التّطلُّع به إلى إحداث النُّقلة.

فاستبصار التقبّل حالة تبادلية بين ذوي العلاقة بالموضوع فكما هو حقّ على الأنا حقّ للآخر.

وحدة إحراز التقدير تساندًا وترابطًا:

التقدير قيمة تقييميَّة، تربط الجهد بالإنتاج أو المدخلات بالمخرجات، قيمة عليها يكون التسابق بكل قوَّة مع المحافظة على المسافة التي تسمح للآخر بالحركة في ذات الاتجاه دون عرقلة مقصودة، وبناء على النتائج

المنجزة تتميّز كل خصوصيَّة بما تمتاز به عن خصوصيات الآخرين. ولا تسود قيمة التقدير بين النَّاس إذا لم يمارسوا الحرّيَّة بأسلوب ديمقراطي.

ولأنَّ التقدير قيمة جاء (إحراز التقدير) مبدأ يحتوي مطلبا يشبع رغبة، ممّا يستوجب من راغبٍ في ممارسة السّلطة أو امتلاك الثروة، أن يحسّ بتماثل حاجات الآخرين له في ممارسة هذه الحقّوق وامتلاكها. وعندما يصل (الأنا والآخر) إلى هذا المستوى من التقدير ينال كل منهما نصيبه بإرادة، ويتمكّنان من العيش معا في المكان والزّمان الواحد، وينال كل منهما مكانة عند الآخر، مما يجعلهما يحسان بحاجتهما للبعض وأنّ كلّ منهما على درجة من الأهميَّة التي لا ينبغي أن يستهان بها أو يَغفل عنها.

وعليه فلدى عقل الإنسان خط أحمر يفصل بين درجة التقبّل ودرجة الرَّفض، فكلما زادت درجة التحمُّل عند الإنسان كانت حركة الامتداد الذهني في مجال التقبّل، وكلّما قلت درجة التحمّل اقتربت من خط التماس الأحمر الذي بتجاوزه يدخل حيّز الرَّفض الذهني ما يؤدِّي إلى الإقدام على تقبّل المخاطرة، أو دخولها بسرّعة التعمق في منطقة الرَّفض.

ولذلك توجد أيضا منطقة توازن ذهنية تفصل بين امتداد الرّغبة في حيّز الرَّفض، وما يشبع الحاجة في حيّز القبول، وعندما يكون تفكير الإنسان في منطقة التوازن الذهني يصبح سلوكه اعتداليًّا.

وحدة تفخيم الكرامة تساندًا وترابطًا:

الكرامة قيمة للاستشعار بالشّرف الذي إذا مُسّ بسالبٍ ساد الألم ضمير الإنسان الذي تتجسّد في نفسه قيمة الكرامة؛ ولهذا فإنّ تفخيمها سلوكا بين النَّاس مبدأ. وبهذا المعنى يصبح الإنسان قيمة في ذاته، وذلك بتفخيم قيمة الكرامة في شخصه عِبرا ومواعظا وشرفا وفضائلا خيّرة.

فالكرامة قيمة ذاتيَّة تأصيلية تربط الإنسان بالتَّاريخ، والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانيَّة حتى يصبح الشّرف والوطن والأمّة والدّين من المكونات الرئيسة لذات الفرد، الذي إذا تخّمت في نفسه قيمة الكرامة يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها.

فتفخيم الكرامة يجعل من الإنسان شخصيَّة مقدّرة، وله من الاحترام والاعتبار ما يجعله شخصيَّة مهابة؛ ولهذا تعد آراؤه وحكمه وجهوده وتجربته وخبرته مرجعية دون أيّ تمييزٍ لدينٍ أو عرقٍ أو ثقافةٍ.

ويحتوي مبدأ (تفخيم الكرامة) على أنّ الثِّقة في الإنسان خَلقا وخُلقا ينالها بالاحترام والأخذ بالتعاليم المستمدَّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ومن هنا يصبح الإنسان قيمة في ذاته يحترم رأيه ودينه وجنسه ونوعه ولونه وهويّته؛ ولهذا ينبغي أن يتمّ تقدير الأفراد والجماعات بما يليق بتفخيم الكرامة الإنسانيَّة، وتجنّب معاملتهم وكأنّهم مجرّد أرقام في أحد سجلات إثبات القيد الوطني.

وبما أنّ تفخيم كرامة الإنسان مبدأ، فتفخيمها لا يكون إلّا قولا وفعلًا وعملا وسلوكا؛ ولهذا وجب اعتبار الآخر وتقدير دوره وما يبذله من جهد في سبيل استقرار الأمن والارتقاء بالوطن والحفاظ على شرفه وشرف الآخرين وعلى جميع المستويات في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) سواء أكانت موضوعيَّة، أم تطلُّعية، أم ذاتيَّة، أم إنسحابيَّة، أم أنانية.

ولذا فإنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانيَّة ينبغي تفخيمها بما يحافظ ويعظّم قيمة الإنسان أينما كان؛ ذلك لأنّ تفخيم الكرامة يمكّن من الحفاظ على التَّاريخ والحضارات والثقافات المتنوِّعة مع احترام الخصوصيات الاجتماعيَّة والوطنيَّة.

وحدة تحكيم الضَّمير تساندًا وترابطًا:

تحكيم الضَّمير تحكيم يستند على قراءة واعية لا تكون نتائجها إلَّا خيِّرة؛ ولذا يؤسّس مبدأ تحكيم الضَّمير على: (الإيمان بأهميَّة التواصل القيمي بدون أيِّ تسرُّع في إصدار الأحكام أو تقويم السُّلوك والفعل يؤسّس علاقة طيبة معيارها العقل والضَّمير المستوعب للأنا والآخر وفقًا لمتطلبات عمليَّة المساعدة المهنيَّة الهادفة).

ومن هنا فالضَّمير ضابط قيمي إنساني؛ كونه مكوّن قيمي شمولي عام بغاية العمل وفقًا لما يجب أن يكون والتخلّي عمَّا لا يجب أن يسود أو يكون.

ولهذا فإن لم يضبط سلوك الإنسان وجموحه فقد يتعرَّض لانحرافات تدفعه لعمل ما لا يجب فعله إنسانيًّا. وتحجبه عمَّا يجب أن يقدم على فعله إنسانيًّا.

ولذا فالضَّمير مكوّن قيمي معياري تحكيمي به يقال الحقّ ويفعل، والضَّمير قوَّة ضابطة لأطماع الأنا وأطماع الذَّات ودافعة ومحفّزة إلى ممارسة وأداء ما يجب دون غيره.

ولأنَّ الضَّمير ضابط قيمي ونتاج إنساني؛ فيعدّ المرجعيَّة في التقويم الموضوعي، ومن هنا فالضَّمير منقذ الذَّات من الانغلاق، ومنقذ الأنا من الشَّخصانيَّة، ومحفّز لما يجب، ومانع عمَّا لا يجب، ودافع لقول الحقّ وفعل الحقّ.

ولذا فالضَّمير يُهاب من الأنا الطَّامعة، والذَّات المنضوية والمنغلقة على ذاتها، وبالتَّالي عندما يغفل الضَّمير تضعف الأنا وتنفلت، وتضعف الذَّات وتنفلت، وعندما يصحوا يعمل على ضبط الأنا والذَّات مع النسق القيمي الإنساني، ليعلن هويَّته العامَّة (أنا الإنسان).

وحدة تعزيز الموضوعيَّة تساندًا وترابطًا:

الموضوعيَّة قيمة أخلاقيَّة أحكامها بلا انحيازات، وموازين عدالتها بلا مظالم، ومضمونها نزاهة المقصد والبعد عن الهوى، والتجرّد من العواطف الشَّخصانيَّة وسلامة الموضوع الذي اصطبغت بصفته. ومن ثمّ فالموضوعيَّة

اعتدال في الفكرة والقول والفعل والسُّلوك، لا انحياز لغير الحقّ في مكوّناتها المنطقيَّة، وهي التي تعتمد على العقل في التمييز بين ما يجب وما لا يجب. بها تُدرك الأشياء كما هي عليه، ثم تقوَّم إلى ما ينبغي لها أن تكون عليه. وهي الوعي بالحقَّائق بعد إخضاعها للقياس المعياري دون غض النَّظر عن مكوّناتها ومعطياتها وعلاقتها بما يؤثر سلبًا وإيجابا على أطراف الحوار (الأنا والآخر).

إذن: ينبغي أن تعزيز الموضوعيَّة بغاية تقديم الحقَّائق هي كما هي لا كما ينبغي لها أن تكون عليه إرضاء للأنا على حساب الآخر؛ ولهذا في الموضوعيَّة تكمن الحقّيقة التي تهدف إلى كشف الزيف عن المعلومة التي يجب أن تقدم كما هي لا كما يود لها أن تكون.

ولذا؛ تُعد الموضوعيَّة مكوّنا قيميًّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانيَّة والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسُلوكيَّات تؤدّى من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميَّة ذات أبعاد ومرامي إنسانيَّة خالية من التعصِب والتحيّز.

وتتمركز الموضوعيَّة على الاستخدام العقلي، الذي به تتجاوز الشخصيَّة مرحلة العاطفة والمنطق، ما يجعلها تحتكم بالعقل دون سواه في تناول القضايا والمواضيع بالبحث والدِّراسة.

وحدة اعتبار الخصوصيَّة تساندًا وترابطًا:

(اعتبار الخصوصيَّة يعد اعتبارا للشخصيَّة التي تتميّز عن غيرها كما غيرها يتميّز عنها بخصوصيّته قدرة، واستطاعة، ودينا، وثقافة، ومهارة، وتعليما، وغاية، مع تقدير ما يميّز كلّ خصوصيَّة عن غيرها، وبما يؤكد على أهميَّة استيعاب البعض للبعض).

ولأنَّ الحالات قيد البحث والدِّراسة من قبل الأخصائي الاجتماعي وإن اتحدت أو اشتركت في النَّوع تختلف باختلاف قدرات واستعدادات أصحابها، فهي ذات خصوصيَّات لا يجوز تعميمها، بل كلّ حالة كيان بذاتها، لها ما لها من العلل والأسباب والظُّروف التي تستوجب تفهّم الأخصائي لها إن أراد تحقّيق نتيجة موضوعيَّة مرضيَّة، وفوق كلّ هذا إن لم تغرس الثِّقة في نفوس العملاء فلا إمكانية لمعرفة الحقَّائق وكشف خفاياها.

ولهذا لا يُمكن أن يتم استيعاب العملاء ودراسة حالاتهم بموضوعيَّة ما لم يتم التعرُّف على خصوصيَّة كلّ منهم وتقدير كلّ خصوصيَّة: ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار الخصوصيَّة وغرس الثِّقة في أصحابها مهنيّا، أي: يجب وضع الخصوصيَّة في الحسبان، وعدم إسقاطها من أيِّ حساب.

وحدة تفعيل المشاركة تساندًا وترابطًا:

المشاركة في ذاتها قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدأ عمليا قابلا للممارسة، أي: إذا لم تُفعّل لن تكون لها قيمة إلّا نظريا، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهوما ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحقّ وفقًا لقوانينها المنظمة، أي: وفقًا لرواء المشاركين أو المنظرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكية، أو علاقات اجتماعيَّة).

ولهذا فتفعيل المشاركة يمكّن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر) على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده .كما أنّه يُحرّض على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام ويرسّخ المكانة، وبخاصة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل كل ما من شأنه أن يؤدِّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلَّب استثارة القوَّة الذاتيَّة للمشاركين بما يحقّق الديناميكيَّة بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبا لإشباع احتياجاتهم.

وحدة ترسيخ الشَّفافيَّة تساندًا وترابطًا:

الشَّفافيَّة قيمة أخلاقيَّة غايتها إظهار الحقّيقة (هي كما هي)، إنّها وضوح الرُّؤية وتجلّي الحقّيقة؛ إذ لا شيء يخفى، أي: بما أنّه شيء، فكيف لنا أن نخفيه من الوجود؟

ولهذا فالشَّفافيَّة transparent وضوح في المعاملة بين الأنا والآخر، ولا سرِّيَّة عنهما فيما لهما فيه حقّ، وتعامل إرادي تنساب من خلاله المشاعر والأحاسيس بين المتفاعلين أو المشتركين في أداء المهام بكل ود.

وهي قيمة ترابطية بين الكامن المعرفي والظَّاهر السُّلوكي، بها تتضح العلاقة بين الفرد ومحيطه المعلوماتي، فلا سرِّيَّة عمّن يتعلّق الأمر به. وهي أيضا تلغي الشكوك من القاموس السّياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتُمكِّن الفرد من الاندماج والتواصل مع الآخر. فيها الرّقي الذّوقي والوضوح المجرد من كل شائبة؛ فالشَّفافيَّة قيمة شرطية لممارسة الحرِّيَّة بإرادة، وبها تُقدَّم الأشياء على حقّيقتها هي كما هيّ دون أي تزوير أو تشويه أو إخفاء عمدي.

ولأنَّ الشَّفافيَّة ضرورة لاستمرار المشاركة الناجحة والبناءة، إذن: لمَ لا ترسّخ؟

أي: لم لا تثبت مبدأ معرفيّا وسلوكيّا حُجَّة وفعلًا وثقافة حتى تصبح عرفا إنسانيًّا وأخلاقيا من خلال سن القوانين الضامنة لممارسة الحقّوق بشفافيَّة، وأداء الواجبات بشفافيَّة، وحمل المسؤوليَّات بشفافيَّة؟

ولأنّ الشَّفافيَّة قيمة حميدة، فهي تواجه الفساد والمفسدين بحجج ودلائل وحقَّائق دامغة (نزاهة أو إدانة)، وهي: بغاية المحافظة على رأس المال وما يعود عليه من مكاسب، بلا خيانة عمل ولا تبييض أموال ولا اختلاسها على حساب حسن الإدارة وجودة الأداء وسمعة الأنظمة السياسيَّة الاقتصاديَّة والماليَّة سواء على مستوى الشركات أم مستوى الدّول.

وحدة الأخلاق المهنيَّة تساندًا وترابطًا:

لأيِّ مهنة من المهن أخلاق مُلزمة للمتخصّصين والأخصائيين الممارسين لها، ولهذا فأخلاق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هي: (تجسيد قيم المهنة في القول والفعل يحقّق أهدافها ويؤكد كرامة العملاء ويقدّرها إنسانيًّا، ويُمكِّن الأخصائي الاجتماعي من مراجعة خططه العلميَّة وخطوات إنجازها دون تأثر عاطفي أو انحياز شخصاني).

ولهذا إذا اكتشف العميل التناقض بين ما يقوله الأخصائي الاجتماعي وبين ما يسلكه مهنيًا يفقد الثِّقة فيه، وبالتالي تصبح علاقته معه بلا مصادق، وفي هذه الحالة يصبح الأخصائي الاجتماعي بالنسبة إلى العميل في دائرة الممكن غير المتوقَّع، وهكذا إذا اكتشف الأخصائي الاجتماعي أنَّ العميل في حالة تناقض في قوله وفعله وسلوكه ما يجعله

يضع العميل في دائرة غير المتوقَّع الذي في كثير من الأحيان تنعدم فيه الثِّقة، ولهذا إذا انعدمت الثِّقة بين العميل والأخصائي انعدمت الحقّيقة التي ينبغي أن تسود بينهما أثناء عمليَّات الدِّراسة.

وحدة معياريَّة التقويم تساندًا وترابطًا:

المعياريَّة لا تكون إلَّا وفق معطيات يمكن قياسها ومعرفة نتائجها مسبقًا؛ ولذا فهي التي بها يتم الاحتكام المرضي، ومبدأ معياريَّة التقويم في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو: (التفحُّص والملاحظة وفقًا للمعايير القيميَّة المعتمدة من المجتمع، تُمكِّن أعضائه من كشف العلل والأسباب التي قد تؤدِّي إلى الانحراف أو الأفعال السَّالبة اجتماعيًّا وإنسانيًّا، ما يتطلَّب تصويبها إلى ما ينبغي موضوعيًّا، وتُمكِّن الأخصائي الاجتماعي من تقويم سيرة الأفراد والجماعات وتنبيههم إلى ما يجب).

ولأنَّ المعايير القيميَّة تقع في دائرة التفضيل الاجتماعي، وأنّ مجموع التفضيلات يساوي مجموع الاختيارات، إذن تتساوى الفرص بين الأفراد نتيجة للاختيار الإرادي.

وحدة التغيير نهوضًا متساندًا ومترابطًا:

التغيير نهوضًا لا يكون إلَّا والغاية من ورائه إحداث النُّقلة إلى كل ما من شأنه أن يُحسِّن الأحوال ويمكّن من التجويد والرّفعة، ولهذا فمبدأ التغيير نهوضًا هو: (استقراء ظروف العملاء وأحوالهم فردًا أو جماعة أو

مجتمعًا، ومعرفة الحالة التي هم عليها، والعمل معهم من حيث مستوياتهم القيميَّة والإدراكيَّة والمعرفيَّة، تقديرًا لما يُفضِّلون وما لا يُفضّلون، والعمل على التّطلُّع بهم إلى ما هو أكثر نهضة وجودة).

ولهذا فالبدء مع العملاء من حيث هم مبدأ من مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة لم تغفل البرمجيَّة القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع عن استخداماته الموضوعيَّة، فعملت على إدخالها في عمليَّات التحليل العلمي وفقًا لقاعدة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)

ولأنَّه لا يمكن أن يتعلَّم الطّفل القفز قبل تعلمه المشي، ولا يمكن قطع مسافة الألف ميل إلا بالبدء بالخطوة الأولى كأمر واقع؛ لذا فبقيَّة المسافة من بعد البدء بالخطوة الأولى تعد مستهدف يتطلَّب العمل الجاد على انجازه في الوقت الأفضل والأنسب.

وعليه فإنجاز الألف ميل هدف، أما قطعه بالخطوة فأمر واقع لا يمكن غض النَّظر عنه أو تجاوزه.

لذا على الأخصائي الاجتماعي أنْ لا يغفل في دراسته عن معرفة المستوى القيمي الذي عليه حالات الأفراد والجماعات، حتى يتمكَّن من البدء معهم من حيث هم؛ ولذلك مع أنَّ المستوى الموضوعي هو المستوى المحقّق للطموح نهوضًا إلا أنَّ بلوغه ممكنًا وغير مستحيل، وبخاصّة إذا استمر تطلع المجتمعات عبر الزَّمن إلى التعرُّف على ما هو مفيد ونافع والعمل على بلوغه نهضة وبإرادة ودون انحياز.

ومع أنَّ المبادئ في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة مؤسّسة على قواعد رئيسة وراسخة؛ فإنَّها ليست بمبادئ جامدة لا تتغيّر، ولهذا فإنَّها ترى الإنسان قيمة وكل ما يؤدِّي إلى نهضته ورفعته ينبغي أن يتم إشراكه فيه رغبة وإرادة.

وحدة المجالات النَّاهضة تساندًا وترابطًا

المجال المهني النَّاهض هو المجال المستوعب لأهل التخصُّص وأهل المعرفة والدِّراية، وهو المجال الذي لا يعرف السُّكون والرُّكون إلى ذلك المتوفّر فقط بين الأيدي، بل دائمًا المتخصِّصون رجالات وبه ناهضون.

ولذا فمجال مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو ذلك الميدان الذي تتمدّد فيه حيويَّة المهنة علمًا ودرايةً ومعرفةً واستنارةً؛ حيث الاهتمام بقيمة الإنسان وفي كل المجتمعات مع مراعاة الخصوصيَّة الثَّقافيَّة والدِّنيَّة والعرفيَّة والفكريَّة أو العقائديَّة؛ ولذلك فمجال الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مجالٌ قيمي؛ إذ لا قيمة للإنسان إلَّا بأثر القيم الخيِّرة عليه.

ولهذا فالمجال المهني سعة استيعابيَّة تحتوي كلّ المتغيرات المهنيّة للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة فكرًا وممارسةً.

ولذلك فالمجال المهني النَّاهض هو المجال المتطوّر الذي فيه الأخصائي والمتخصّص مهنيًّا يدرك أنَّه بإمكانه أن يعمل ما من شأنه أن يمكّنه من إدراك المزيد العلمي والمعرفي حتى يزداد علمًا ومهارةً ومعرفته وارتقاءً.

المجالاتُ القيميَّة للخدمةِ الاجتماعيَّة هي مجالات امتداد المهنيَّة التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي ويمارسها على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، وهي مجالات العمل المرسّخ لقيمة الإنسان الذي خَلقه الله في أحسن تقويم، والمجالات المهنيَّة النَّاهضة هي:

وحدة العلائق الاجتماعيَّة تساندًا وترابطًا:

مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال اتصالي، ومكوّن علائقي يجعل الفرد في حالة انتماء للمجتمع ويجعل المجتمع في حالة استيعاب للفرد والجماعة، فالقيم التي هي نتاج اجتماعي عام، تستوعب كل الأفراد الذين يتواصلون بها من جيل إلى جيل، وتجعل بينهم روابط معرفيّة تنتج سلوكًا يتجسَّد بينهم.

وتتنوّع علائق هذا المجال وتتغيّر أساليبه من مجتمع لأخر ومن مكان لمكان ومن زمان لزمان، فالقيم التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الرِّسالة، لم تعد هي ذات القيم التي سادت بعدها، وبعض القيم السَّائدة في المجتمعات الغربيّة تختلف عن بعض القيم السَّائدة في المجتمعات الشَّرقيّة، وذلك لاختلاف الإطار المرجعي لكل منها، وعليه ليس كل المرفوض مرفوض، ولا كل ما هو مُفضّل لدي مجتمع مُفضّل عند المجتمع الآخر، فالعادات والمعتقدات والأفكار في بعض الأحيان تكون في حالة اتصال، وفي بعض الأحيان تكون في حالة حوار أو في حالة اختلاف، وفي حالات أخرى قد تكون في حالة تكامل؛ لذلك يلاحظ التمركز على بعض القيم ويلاحظ التشتت على بعض منها، وفي معظم الأحيان يلاحظ السُّلوك الودّي بين أفراد المجتمع وجماعاته الذين يشتركون في علائق قيميَّة، ويلاحظ في بعض الأحيان السُّلوك العدائي بين الذين ينتمون والذين لا ينتمون،

وهكذا تختلف المواقف والأدوار نتيجة لاختلاف الظروف واختلاف القيم والمعتقدات.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال بنائي يكوّن الشَّخصيَّة الاجتماعيَّة المتفاعلة والمتعاونة كلما تشربت هذه الشخصيَّة القيم بإرادة ومعرفة واعية، وإذا لم يتم ذلك بإرادة فإنَّ السُّلوك المناقض للبناء قد يكون هو سلوك الصدارة؛ ولذا فإنَّ التفاعل الموجب الذي تنتجه الإثني عشرة قيمة هو الذي يقوّي عاطفة الانتماء والرّوابط القيميَّة الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ويجعل الضَّمير (**نحن**) هو الضَّمير السَّائد بينهم بدلًا من الضَّمير (**أنا**) الذي في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الصِّدام والفرقة.

يعتبر مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة هو رأس مال المجتمع، الذي تسود فيه قيم التعاون والتفاعل والمنافسة والمشاركة، عندما يولي المجتمع اهتمامًا بالتنمية البشريَّة لأفراده وجماعاته، سواء على مستوي الأسرة أو جماعات العمل أو على مستوي الإدارات الحكوميّة والإدارات الخاصَّة.

إنَّ تنمية رأس المال الاجتماعي يستوجب عقدًا اجتماعيًّا جديدًا مؤسّسًا على الثِّقة والإرادة بين الأفراد وجماعات العمل وجماعات المناشط المشتركة؛ ذلك لأنَّ الثِّقة غير المكتوبة هي التي يتطابق فيها مضمون الضَّمير مع الفعل والسُّلوك، وعندما يتطابق ما يحتوي عليه الضَّمير مع الفعل والسُّلوك فلا داعي لكتابة المواثيق التي تزوّر وتخترق كلّما تهيئة الظّروف

المصاحبة إليها. وعندما تتوافر الثِّقة غير المكتوبة، تصبح مصدرًا للشفافيّة والاحترام الذي يُقدّر فيه الأنا والأخر؛ فالثِّقة بين الموظفين سواء أكانوا موظفي قطاع خاص أم عام، وسواء أكانوا موظفي أجهزة أمنيّة أو تجاريّة، عندما تسود الثِّقة بينهم في أساليب العمل، تؤدِّي إلى تطوّر العمل، وتطوّر الوحدات العاملة من خلال تبادل المعلومات المفيدة.

وعندما تنعدم الثِّقة بين العاملين في مختلف القطاعات والأجهزة تقل المعلومات المتبادلة بينهم، وفي كثير من الأحيان قد يسودها التزوير والتحريف، ولأنَّ المعلومات هي التي تُبنى الخطط عليها، ولأنَّها مزوَّرة، إذن لا بدَّ وأن تكون الخطط كمترتّب هي الأخرى مزوّرة، وعندما تكون الخطة مزوّرة يصبح العمل بكاملة مزوّرًا ولا علاقة له بالواقع والحقيقة؛ وعليه ليس دائمًا العملة الجيدة تطرد العملة السّيئة، فكل شيء عندما تتوافر اشتراطاته يتوفّر.

وحدة العلائق الإنتاجيَّة تساندًا وترابطًا:

الإنتاج هو توليد الشيء من الشيء، الذي يؤدّي إلى الكثرة والتضاعف، كما أنَّه يؤدّي إلى التنوَّع، مما يستوجب إدارة للإنتاج تنقله إلى أسواق الطلب والرّغبة، فالإدارة وسيلة النجاح عندما تكون قادرة على ملاحقة المنتجين في ميادين الإنتاج وملاحقة المستهلكين في ميادين البيع والشراء، وهذا يعني توسع دائرة امتداد هذا المجال المتطوِّر من حالة الإنتاج الأوَّلي إلى حالة الإنتاج التقني المعقد، ومن حالة العلاقة المباشرة بالطبيعة

إلى حالة النُّقلة للتحسين والجودة، التي تمكِّنه من دخول ميادين المنافسة الحرَّة وتجاوز الصِّعاب.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يحتوي على خمسة علائق قيميَّة كل منها يؤدّي إلى الإنتاج سواء كان هذا الإنتاج ماديًّا (إنتاج السُّوق) الذي تترتب عليه قيم البيع والشراء، وارتفاع مستوى الدخل أو انخفاضه، أو إنتاجًا معرفيًّا (إنتاج المعلومة والفكرة) التي تثري ما سبق، وتدعم ما في الآن، وتسعى لصناعة المستقبل؛ ولذا فإنَّ التقنية (مولود الفكرة) تتطوَّر وتتنوَّع وتتجدَد مع كل جديد.

ويحتوي مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة على بدائل قيميَّة معياريَّة لقياس معارف المبحوثين وتقديراتهم لهذه القيم أو تفهمهم إليها، ويترتَّب على ذلك التعرُّف على اتجاهاتهم ومستوياتهم القياسيّة من خلال اختياراتهم للبدائل القيميَّة لكل علاقة من علائق مجال القيم الإنتاجيَّة.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة هو مجال امتداد الفكرة، ونقلها وفقًا للمطالب والحاجات والرغبات ووفقًا لسياسة السُّوق، ولهذا فالفكرة لا تعترف بالحدود، إن لم تُحترم في مكان معين قد تلاقي كل الاحترام والتقدير في مكان آخر، المهم أنَّها فكرة منتجة للمعرفة الجديدة والمفيدة، وهي في حالة تطوّر مستمر وقادرة على المنافسة، فالسُّوق الذي كان مقتصرًا على البيع والشِّراء لما هو منتج ماديًّا، أصبح المستوعب للتعامل مع الفكرة والمفكرين، فدخلت الفكرة السُّوق كغيرها من المنتجات الأخرى،

ودخل المفكرين معها للسُّوق، وكان اللبس والغموض عند البعض حين قالوا أن المفكرين يباعون ويشترون كغيرهم من السلع والبضائع الأخرى، إنَّها لم تكن حقيقة، الحقيقة هي بيع الفكرة وشراء الفكرة، ولأنَّها فكرة فلا مكان إليها إلا عقل المفكر؛ ولذا يُنقل المفكرين من مكان إلى مكان للمحافظة على الفكرة وحافظها، كل السلع والمنتجات المتنوِّعة تنقل في العُلب المختلفة، وتحفظ في حافظات مادّيَّة إلا الفكرة لا تُحمل في مثل ما تُحمل به المنتجات الأخرى.

وهكذا دخلت المهارة السُّوق كما دخلته الفكرة، ومع أنَّ الفارق كبير بين الفكرة والمهارة إلا أنّهما دخلا نفس السُّوق، وخضعا إلى أساليب المزاد العلني، من يدفع أكثر يربح المزاد، مزاد بيع السُّلوك (المهارة)، وبيع المعلومة (الفكرة)، اللاعبين الرّياضيين أسعار مهاراتهم بالملايين، وأسعار الفكرة أكثر، والفرق بين أساليب التعامل مع السُّلوك والفكرة هو أن المهارة تؤجّر ويُدفع الثمن للذي يُجيدها، وعندما تنتهي مدة الإيجار ينتقل بها صاحبها أينما يشاء، أمَّا الفكرة فتُشترى، وعندما يرحل صاحبها تستقل عنه بما تنتج في السُّوق.

ويعتبر هذا المجال ألعلائقي مجالًا لتحقيق المنفعة القابلة للقياس بالإنتاج الذي يتطلب إدارة ملاحِقة (تلاحق المنتجين لتمدهم بالخدمة التي تمكنهم من زيادة الإنتاج)، إدارة تتفهم ظروفهم ومتطلباتهم كما تتفهم احتياجات المستهلكين.

وحدة العلائق النَّفسيَّة تساندًا وترابطًا:

يحتوي هذا المجال على سبعة علائق قيميَّة تؤثر في علائق أخرى وتتأثر بها، تفيد في التحليل النَّفسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال التعرُّف على اتجاهاتهم وميولهم والقيم التي يتمسّكوا بها، أو التي يحيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقفًا وأدوارًا متباينة وتختلف من وقت لآخر.

ولذا فالعلائق القيميَّة النفسيَّة تصقل الشخصيَّة التي تُفكر بعقل المجتمع الذي تنتمي إليه، تتقيد بالقيم السَّائدة المستمدة من المعتقدات والأعراف المكونة للإطار المرجعي، تعتبر المجتمع الذي تنتمي إليه مجتمع أفضل قيميًّا من غيره، وفي معظم الأحيان تنحاز إليه عند كل ظرف، ولهذا قد توصف الشخصيَّة من قبل الآخر بالانطوائيَّة؛ حيث قصور رؤاها على رواء المجتمع وعدم تفاعلها موضوعيًّا مع غيره من المجتمعات أو الأفراد، وتبالغ في عرض ذاتها على ذوات الآخرين، تتشبَّث بخصوصيَّاتها الاجتماعيَّة، تقاوم الاختراق حتى وإن كان ذا فوائد موجبة، تعتز بالانتماء الأسري والعشائري والقبلي والانتماء إلى الأمَّة، ثقافتها بسيطة، وهذا ما يجعل علاقاتها مع الآخرين سطحيّة (عدم اكتراث) غير مبالية بما يجري في محيطها الإنساني، تنتظر التغيير ولا تقدم عليه، ترفض الآخر الموضوعي وتقبل الأنا المنتمية إليها، تتابع الأفراد في حقوقهم وواجباتهم ومسؤوليَّاتهم، وتتحمّل الأعباء المترتبة على مشاركتهم، ولا تنظر للحقيقة كوحدة واحدة، بل تنظر إليها على أساس التجزئة؛ إذ أنَّها ترفض الحقيقة التي تستوجب

الموضوعيَّة في التقييم؛ ذلك لأنَّها تتعصّب إلى عرقها، أو جنسها أو مهنتها، أو قريتها ومدينتها وبلدها، حتى وإن كان الخطأ والسَّلبيَّة هما السَّائدين فيها، وتقبل الإصلاح من الداخل، وترفضه من الخارج.

إنَّ النَّفس البشريَّة تقوّى وتضعف بالكلمة أو الفعل أو السُّلوك، وتتأرجح بين الخيال الممكن والخيال غير الممكن، وبين المتوقَّع وغير المتوقَّع تارة أخرى، وعندما تضعف تضطرب، وعندما تقوى تطمئن، ومعايير اختياراتها القيميَّة في بعض الأحيان تتمركز على الأفعال الأنانيَّة، وفي بعض الأحيان الأخرى تتمركز على الذَّاتيَّة أو الموضوعيَّة، وفي حين آخر تتشتت الذَّات بين الميول إلى الأنانيَّة أو الميول إلى الموضوعيَّة، وهذا يعني أن مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة قد تندمج فيه مكوّنات الشخصيَّة مما يجعل عناصر الذَّاتيَّة جزاء لا يتجزأ من عناصر الأنانيَّة أو عناصر الموضوعيَّة، وهذا يتماثل مع قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يُمكِّن البحّاث من معرفة محتويات النَّصّ أو الخطاب أو الشّخصيَّة قيد البحث والدِّراسة.

وحدة العمليَّات النَّاهضة تساندًا وترابطًا

لطرق مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة خمسُ عمليَّات متساندة ومترابطة بغاية تقديم المساعدة والإصلاح وبلوغ الحلّ وإحداث التغيير وعيًا ودراية، ويقوم بهذه العمليَّات الخمس الأخصائيون الاجتماعيُّون الممارسون لها وفقًا لمعايير المهنة، وقيمها، ومبادئها وقواعدها، وأساليبها، وهي:

عمليَّة جمع المعلومات تساندًا وترابطًا:

في أثناء جمع المعلومات ينبغي أن يدرك الأخصائي الاجتماعي، أنَّ الفرد أو الجماعة أو المجتمع موضوع البحث والدِّراسة قد يكونوا على حالة موجبة، أو على حالة سالبة، أو في حالة تداخل بينهما، فعلى الأخصائي أو الباحث أن يميّز وعيًا ودرايةً، حتى يستطيع تثبيت الأثر الموجب، وإزالة الأثر السَّالب، وفي كلتا الحالتين تستوجب الضرورة أخذ العبر من كل موجب أو نافع، وأخذ الحذر من كل سالب أو ضار، هذا الأمر يسهم في بناء شخصيَّة جماعيَّة فاعلة وبنّاءة. فالجماعة عندما تكون في حالة سالبة: تنغلق على ذاتها ولا تقيّم الأمور إلا من خلال نظرتها الخاصَّة، التي تجعلها في بعض الأحيان تنظر للآخرين بمنظور الدّونيَّة، فيقتصر تفكيرها على ما يفيد أعضائها ولا تسعى إلا لما يفيدهم حتى ولو كان على حساب الغير.

ولذا فإنَّ عمليَّة جمع المعلومات، لم تقتصر على الأفراد أو الجماعات ذات المردود السَّالب، بل تهتم أيضًا بالأفراد والجماعات ذات المضمون والمردود الموجب، أو القيم والفضائل الموجبة؛ وذلك بما يقدّم خدمات جليلة

للفرد والأسرة والمجتمع؛ ولذا فإنَّ لكل فرد أو جماعة قيمهم الخاصة بهم مرجعيًّا، وهي القيم التي بها يتميّزون عن الغير، فعندما نقول أنَّ العرب كجماعات أو مجتمعات في حالة وحدة؛ هذا يعني أن التفاهم والتفاعل بين أبناء الأصل والانتماء الواحد ارتقى إلى مستوى النضج الذي حقق لهم أملهم المنشود وهو الوحدة، وعندما نقول العرب في حالة جماعات متفرقة، هذا يعني أن عدم التفاهم وسوء النيّة بينهم نزل إلى مستوى الأنا، الذي حقّق لهم التفّرق، نتيجة قصورهم وعدم وعيهم بمستوى الذَّات العظيمة التي فيها العزة للعرب جميعًا.

وعليه فالحالة الفرديَّة أو الجماعيَّة أو المجتمعيَّة، هي سير متكاملة ومتلاحمة، يمكن التعرُّف عليها من خلال مراجعتها وتتبّع تطورها أو تعقدها، وتحديد عناصر القوَّة والضعف فيها، ومن خلال معرفة مضمونها والمنظومة التي انتظمت عليها، وأظهرتها إلى المستوى الموجب أو السَّالب.

ولذا فإنَّ الخصوصيَّة التي تتميز بها الجماعات عن غيرها من الجماعات في الطبائع والأساليب، والتزامها بالمثل، واختلافها في الطموحات، وفي كيفيَّة إشباع حاجتها، تجعلها في حالة تباين، يستوجب التقدير في مراعاة كل خصوصيَّة، عند إجراء الدراسات والبحوث، وإنَّ أي تعميم للخصوصيَّة على حساب خصوصيّات الآخرين يعد خطأ، وإنَّ أي تغافل عنها لا يؤدِّي إلى تحقيق نتائج موضوعيَّة هادفة وناجحة.

لذا ينبغي مراعاة الخصوصيَّة الفرديّة والجماعة، وخصوصيَّة كل عضو فيها، نتيجة وجود فروق في القدرات والاستعدادات والإمكانات والمهارات، وبالتَّالي لا يجب إغفالها، فقد تكون مشكلة الجماعة واحدة، كأن تكون مشتركة في جريمة سرقة، ومع أنَّ السَّرقة واحدة إلا أنَّ أساليبها وأسبابها وطرقها متعددة، ومبرراتها مختلفة، ما يجعل الضرورة تستوجب دراسة العلل والأسباب المؤدِّية إليها عند كل مفردة من مفردات الجماعة، وعلى الأخصائي الاجتماعي أن يتفحص المعلومات المتحصل عليها من مصادرها، وأن يتقصى العلل والمسببات التي تظهر أو تكمن ورائها، وأن لا يعتبر كل ما يقوله عضوا من أعضاء الجماعة مسلمات يؤخذ بها، بل عليه أن يضع الشَّكّ كأحد عناصر التحليل العلمي نصب عينيه، وعليه أن يربط الظَّاهر بالكامن، وعليه أن يميز بين الكل، والجزء، والمتجزئ منه.

كما أنَّ التعامل مع الحالات فردية كانت أم جماعيَّة، يتطّلب البدء مع الجماعة أثناء عمليَّة جمع المعلومات من حيث هم، وكما هم عليه، والعمل معهم على تحقيق ما ينبغي أن يكونوا عليه.

فلا نتوقَّع من الجماعة التي تعاني من سوء التوافق أو التفاعل، وعدم التعاون مع الآخرين أن تكون موجبة أو سويّة؛ وبما أنَّنا نود منها أن تكون متعاونة ومتوافقة وسويّة متفاعلة، علينا أن نتفهّم ظروفها الخاصَّة، ونبدأ معها من الظُّروف التي تعاني منها، حتى تحس أن هناك أهميَّة من وراء مراعاة الأخصائي الاجتماعي لظروفها، وظروف كلّ فرد فيها؛ وذلك من خلال

تحسيسها بأهميتها على المستوى الجماعي والمجتمعي، وعدم تحسيسها بالإدانة، حتى يتم تفطينها من الغفلة التي هي عليها إلى ما يجب أن تكون عليه.

إذن: في البداية ينبغي أن تكون المعاملة المهنيَّة بين الأخصائي الاجتماعي والفرد أو الجماعة علميَّة وإنسانيَّة وفنية وموضوعيَّة، من حيث التعامل والانتباه لكل المتغيرات التي قد تظهر أثناء تجميع المعلومات عن الحالة، ومن خلال تحسيس العميل بالاحترام، وعدم إدانته بالعبارات المباشرة ذات المفاهيم غير المستساغة قيميًّا.

وعلى الأخصائي الاجتماعي أن يراعي مستويات الإدراك العقلي، والمستويات التعليميّة والصحيَّة والاقتصاديَّة عند إجراء مقابلات تجميع المعلومات، وأن يهتم بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات، باعتبارها مكمن الأسباب والعلل التي وراء الظَّاهرة أو الحالة التي تتطلب الدِّراسة؛ ولذلك لا يمكن أن تُعرف العلل والأسباب إلا بتوافر المعلومات الضرورية للحالة.

ولا ننسى دور الخبرة في عمليَّة جمع المعلومات، التي يستوعب بها الأخصائي الاجتماعي العملاء ومواضيعهم؛ فالخبرة نتاج التراكم المعرفي ونتاج الممارسة والتدريب، وبالخبرة يتم تقبل الجماعة كما هي، والعمل على إصلاحها، والوصول بها إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

والخبرة تلزم الأخصائي الاجتماعي باتباع المبادئ المهنيَّة التي تستوجب تقبل دراسة الحالة، وتقبُّل ما يترتب عليها من أفعال وسُلوكيَّات سالبة، بغرض إصلاحها والحفاظ على البيئة الاجتماعيَّة الصالحة للحياة المشتركة بكل حرية واحترام وبكل تقدير متبادل بين أفراد الجماعة والجماعات الأخرى.

وحدة عمليَّة تحليل المعلومات تساندًا وترابطًا:

يُعد التحليل خطوة تالية ومترتّبة على عمليَّة جمع المعلومات؛ حيث إن المعلومات والبيانات التي تمّ تجميعها، ليست غاية في حد ذاتها، بل هي في حاجة إلى ربط متغيراتها المستقلة والتابعة والمتداخلة، مع بعضها البعض، وتحليلها وفق منهج محدد ودقيق، يمكّن من اكتشاف العلل والأسباب ذات العلاقة بالحالة قيد الدِّراسة.

لذا نعّرف التحليل بأنه: (عمليَّة عقليَّة تستند على معلومات، تستوجب التبيّن، والوقوف على أثر المتغيرات سواء كانت مستقلة أو تابعة وأثر تداخلها علائقيًّا على الحالة، ووفقًا لمعطيات ومبررات وجودها، بما يؤدِّي إلى تشخيص الحالة، وتحقيق نتائج أو معالجات أو اقتراحات علميَّة ووقائيَّة، وهو يعد حلقة وصل بين عمليَّة جمع المعلومات والبيانات، وبين مرحلة التشخيص والوصول إلى النتائج، ما يجعل النتائج مرتبطة بالمعلومات وكامنة فيها).

وعلى الرُّغم من أنَّ التحليل عمليَّة متصلة بعمليَّة جمع المعلومات والبيانات، ومتصلة بعمليَّة التشخيص فإنَّه يعد عمليَّة مستقلة ضمن عمليَّات الدِّراسة في طرق مهنة الاجتماعيَّة. فالتحليل: هو (جهد يبذل في سبيل معرفة أثر وتأثر كل متغير من المتغيرات الرَّئيسة والفرعيَّة للحالة، وأثر العلائق الظَّاهرة والكامنة بين العلل والأسباب المؤدِّية لظهور الحالة، وفقًا لخصوصيَّة الزَّمان والمكان).

لذا على الأخصائي الاجتماعي أن يحلل المعلومات والبيانات، التي جمعها وتحصّل عليها من مصادرها ومراجعها، حسب ظرفها الزّماني والمكاني الذي تأثرت به دون عاطفة شخصيَّة، أي ينبغي أن تحلل المعلومات بموضوعيَّة ووفق معطياتها وعلل وجودها، لا أن تحلل بمعطيات خارجة عنها؛ فعلى سبيل المثال: المشكلة التي وقعت في الزَّمن الماضي إذا طلب منا أن نحللها في الزَّمن الحاضر، علينا أن لا نغفل عن مبررات ظهورها في الزَّمن الماضي، ولا تحلل بموضوعيَّة إلا في ظل مبرراته الزمانية والمكانية التي جعلت له خصوصيَّة وهيأة له ظروف مختلفة عن خصوصيَّة الوقت الحاضر وظروفه ومبرراته الخاصَّة.

وأن تحلل المعلومات عبر زمن تطورها سواء كانت ذات أثر موجب أم كانت ذات أثر سالب.

ولذا فتحليل المعلومة يستوجب فطنة من الباحث، وتقدير ظرفي للحالة الصحيَّة لأفراد الجماعة أو أعضائها، وتقدير للحالة الاقتصاديَّة

والمستويات التعليمية، ومستويات الفهم، ودرجات الاستيعاب لكل ما يتم طرحة على الجماعة.

ولهذا فتحليل المعلومات يمكّن الباحث أو الأخصائي الاجتماعي من توليد معلومة من معلومة، وفكرة من فكرة، وسبب من مسبب، ومعلول من علة، وإظهار حجَّة من حجّة، وبرهان من برهان، ونتيجة من مقدمة أو مجموعة مقدمات.

ولهذا لا تحليل إلاَّ بتفكير، من خلال التوقف بتمّعن وتقصي، عند كل ملاحظ أو مشاهد، لاكتشاف أسراره وخفاياه، وعظمته أو بساطته، استنادًا على أنَّ كل معلومة قابلة للتحليل والتوليد الموضوعي والمنطقي.

ولكي يكون التحليل علميًّا، ينبغي أنْ لا يؤمن الأخصائي الاجتماعي، بالمطلق الذي لا يثبت، بل يؤمن بأنَّ كل شيء نسبي ولا مطلق إلا من عند الله تعالى؛ ولذلك فالمعلومات قابلة للإثبات الموجب والإثبات السالب، وقابلة للنفي؛ ولذا فالتحليل لا يخضع للمزاج الشخصي، بل يخضع للأحكام والقوانين العامَّة، والنَّظريات، ويتعلق بالموضوع وبفلسفته وتاريخه ومنهجه.

وحدة عمليَّة التشخيص تساندًا وترابطًا:

فمرحلة التشخيص تتعدَّى مرحلة التحليل، التي تُجرى في المعامل والمختبرات أو التحليل الذي يتم عن طريق الحاسب الآلي الذي تفرغ فيه المعلومات المتحصل عليها من الجماعة أو الأفراد سواء كانوا معافين أم كانوا مرضى، لتُجرى به عمليَّة التحليل الآلي، دون مطابقتها على وقائع الحالات المتعددة أو الحالات الفرديَّة؛ ولذا فإنَّ الوقوف عند هذه العمليَّة التحليليَّة، لا يُمكِّن الأخصائي في علم الطب أو الأخصائي الاجتماعي من معرفة الحالة المرضية أو الحالة الانحرافيَّة، التي يعاني منها الفرد أو التي تعاني منها الجماعة (واقع الحالة التي هي عليها)؛ ولذلك فإنَّ الضرورة تستوجب من الأخصائيين قراءة نتائج التحليل ومطابقتها على واقع الحالة؛ فالطبيب على سبيل المثال: يجري مقابلة مع المريض بداية لأجل معرفة الكيفيَّة التي بها يتحصل على المعلومات من المريض مباشرة قدر الإمكان إذا كان قادرًا صحيًّا على ذلك، وإلا عن طريق من لهم علاقة به وبحالته في حالة عدم المقدرة، وتُجرى عمليَّة الكشف التي عن طريقها تجمع المعلومات من نبضات قلب المريض إلى ضغط دمه، إلى استخدام الأشعات الكاشفة على دواخل المريض، ثم أخذ العيِّنات المتعددة والمتنوِّعة حتى تتوفر المعلومات اللازمة أو الضرورية للحالة، فكل هذه الإجراءات تتخذ أثناء عمليَّة جمع المعلومات، التي تتطلب التحليل، مما يجعل الطبيب يسرع في إحالتها إلى المعامل والمختبرات والأجهزة التي بها تتم عمليَّة التحليل، ويظل

الطبيب في حالة انتظار والمريض في حالة إسعاف إلى أن تستكمل عمليَّة التحليل، التي على ضوئها تُجرى عمليَّة التشخيص؛ حيث ينتقل الطبيب ونتائج التحليل والأشعات المتعدّدة بين يديه، إلى المريض ليجري الطبيب عمليَّة التشخيص السَّريري على واقع الحالة، فيقارن كل نتيجة مع أماكن الألم أو المرض على بدن المريض، أو على أجهزته الدّاخلية؛ وبإجراء العمليَّة التشخيصيّة يتمكن الطبيب من معرفة مقاومة المريض ودرجة مناعته حتى يتمكن من وصف العلاج المناسب للحالة.

ومع أنَّه قد تستوي حالتين في مرض واحد، كأن يتعرَّضا شخصان لحالة تسمم، فيكون الأثر عليهما ظاهريًّا في حالة تساوي، وقد تكون نتائج تحليلهما هي الأخرى في حالة تساوي (تساوٍ في المعلومات المسببة للمرض، وتساوٍ في عمليَّة التحليل) ولكن عمليَّة التشخيص في حالة اختلاف، كأن يكون أحدهما ذكر، وثانيهما أنثى في حالة حمل، ما يجعل الطبيب يعطي خصوصيَّة لكل حالة على حده، مراعاة للظروف الخاصَّة، التي يترتب عليها وصف معالجات مختلفة أو غير متساوية، مما يجعل أحدهما يشفى في يومين أو أكثر، وقد يجعل أحدهما الآخر يحتاج إلى مدّة أطول للشّفاء، أو قد لا يشفى؛ حيث الاختلاف في درجات المناعة والمقاومة، والاختلاف في النّوع، والظُّروف المتعلقة بكل حالة من الحالتين السّابقتين.

وهكذا تجرى عمليَّة التشخيص في خدمة الفرد أو الجماعة، من قبل الأخصائي الاجتماعي، الذي يهتم بعمليَّة تجميع المعلومات باعتبارها

المحتوية لمكامن العلل والأسباب، التي لا يتم الكشف عنها إلا بالتحليل أوَّلًا، ثم بعمليَّة التشخيص ثانيًا؛ فعلى سبيل المثال: عندما تحال حالة انحراف للأخصائي الاجتماعي لدراستها، فمن الضّرورة أن يقوم بجمع المعلومات الكافية عنها، ثم يجرى على ورق عمليَّة تحليلها، بمقارنة أثر كل متغير من المتغيرات، ولكن من غير الموضوعيَّة أن يقتصر الأخصائي الاجتماعي على عمليَّة تحليل المعلومات على ورق، ليصف علاجًا من بعدها لحالة المنحرف، ومع أنَّ عمليَّة التحليل تتم على ورق مكتوب، أو تجرى عن طريق أجهزة حديثة متطوِّرة، وهذه ضرورة ولا عيب فيها، فإنَّه من المعيب أن يكتفي الأخصائي بهذه العمليَّة ويحدد على ضوئها علاجًا لحالة المنحرف قبل أن يقوم بعمليَّة التشخيص، التي فيها تتم عمليَّة ربط نتائج التحليل المعلوماتي بواقع الحالة (ظاهرها وباطنها).

وحدة عمليَّة العلاج تساندًا وترابطًا:

العلاج في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة يحتاج إلى زمن تكون فيه قيم القبول والتقبُّل والتفهُّم والثقة والاستيعاب ذات أهميَّة بالنسبة للعمل والأخصائي الاجتماعي.

ولذا فمن خلال اهتمامنا بعمليَّات الدِّراسة قدّمنا للقراء والمتخصصين في الخدمة الاجتماعيَّة الكيفيَّة التي بها تتم عمليَّة جمع المعلومات، والكيفيَّة التي بها تتم عمليتي التحليل والتشخيص، كما تعّرفنا على أهداف وخطوات كل عمليَّة والتداخل الموضوعي بين حلقاتها؛ حيث أنَّ الأخصائي

الاجتماعي يهتم بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الحالة قيد الدِّراسة والبحث، باعتبارها مكمن الأسباب والعلل للظّاهرة أو الحالة المدروسة؛ ولذا فإنَّ المعلومات والبيانات التي يتم تجميعها أو الحصول عليها في حاجة لمن يقوم بتحليلها وفقًا لمنهج محدّد ودقيق، يُمكّن من اكتشاف العلل والأسباب ذات العلاقة بالحالة قيد الدِّراسة؛ ما يجعل التحليل خطوة مترتّبة على عمليَّة جمع المعلومات، كما أنَّ عمليَّة التشخيص تنطلق من نتائج التحليل الموضوعي من أجل ربطها مع شخصيَّة العميل سواء أكان فردًا أم جماعةً، أم مجتمعًا وبشكل مباشر.

ولذلك لا يمكن أن تُعرف العلل والأسباب إلا بتوافر المعلومات الضرورية للحالة، ولا يمكن أن يحدث تحليل وتشخيص ما لم تكن المعلومات في حالة وفرة.

وعليه فإنَّ عمليَّة العلاج تترتَّب بالضّرورة على نتائج ما سبقها من عمليّات، إلا أنَّ ما يميّز نتائج عمليَّة العلاج عن غيرها، إنَّها نتائج نهائيَّة تكمن فيها الحلول والمعالجات المناسبة للحالة الفرديّة أو الحالة الجماعيّة والمجتمعيَّة، بينما نتائج كل عمليَّة من العمليّات السّابقة ليست نتائج نهائيّة، بل أنّها نتائج مبدئيّة تفيد في إعطاء مؤشرات علاجيّة قد يتبينها الأخصائي الاجتماعي منذ العمليَّة الأولى؛ وذلك وفقًا لقدراته ومهاراته وخبراته المتنوّعة والمتطوّرة والمتجدِّدة والنَّاهضة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ النتائج ليست هي الحلول، وليست هي العلاج، ولكن هي التي تكمن فيها الحلول، وفي الحلول يكمن العلاج.

ولذا فلم يعد الحلّ هو الهدف من العلاج كما جاء في معظم كتابات الخدمة الاجتماعيَّة؛ حيث رأت فاطمة الحاروني بأن "الهدف العلاجي ذو شطرين أحدهما حلّ مشاكل العميل، والثّاني تعديل شخصيته التعديل المنتج للتفاعل الاجتماعي السليم"[1].

نتفق نحن معها في الشّطر الثَّاني من الهدف العلاجي، وهو تعديل شخصيَّة العميل، مع مراعاة أنّ هذا الهدف يحتاج إلى خطوات إجرائيّة لتنفيذه؛ كي يتحقّق العلاج. ولا نتفق معها في أنَّ الحلَّ هو هدف العلاج، لأنّ الحلّ مرحلة سابقة على العلاج؛ كونه المستمد من النتائج، أي إنَّ أساس الحل فكرة تفترضُ حلًّا، وإذا ما تمَّ الوصل إليه نتيجة من بعد بحث تصبح تلك النتيجة موصى بها حلًّا.

ولذا فالخدمة الاجتماعيَّة في معظم الأحيان لا تقف عند الحل، بل تتعداه إلى خطوة أكثر أهميّة وهي عمليَّة العلاج، الذي من ورائه غاية وهي النُّهوض بغاية إحداث النُّقلة.

وعليه: العلاج (عمليَّة تتكوّن من مجموعة إجراءات تبدأ بوصف العلاج المناسب للحالة قيد البحث والدِّراسة، ثم وضع جدولة زمنيَّة تصف ما يجب وما لا يجب اتباعه، في الفترة العلاجيّة المحددة، مع مراعاة الدّقة في تنفيذ هذه الجدولة وما تحتويه من وصفات إجرائيّة؛ من أجل تفعيل أداء

العملاء، وتحسين وظائفهم الاجتماعيَّة المتعددة، بما يمكّنهم من الرُّقي إلى مستويات أفضل).

ويرتبط نجاح عمليَّة العلاج بالأخصائي الاجتماعي من جهة، وبالحالة قيد الدِّراسة من جهة أخرى؛ إذ يستند العلاج الناجح فيما يتعلّق بالأخصائي الاجتماعي على المعطيات الآتية:

– مهارة الأخصائي الاجتماعي في استخدام خبراته ومعارفه العلميَّة والعمليَّة، في التعامل مع أعضاء الجماعة.

– تحليل وتشخيص علميان، مبنيَّان على الحُجَّة والمنطق والبرهنة.

– تطبيق المبادئ المهنيَّة في طريق الخدمة الاجتماعيَّة، بصورة فنيَّة عالية الفاعليَّة.

– تحديد الجدولة العلاجيَّة بدقة وكفاءة عاليين، فيما يتعلق بالفترة الزمنيّة المخصّصة للعلاج، وكميّته وكيفيّته، وفقًا لدرجات الاختلاف في النَّوع، والظُّروف المتعلّقة بكلّ حالة قيد الدِّراسة.

– القدرة على كشف استجابة العملاء قيد البحث والدِّراسة من عدمها للعلاج الذي تم تحديده، من خلال المتابعة العلاجيَّة للحالة، ما يجعل الأخصائي الاجتماعي أو الطبيب المعالج يضطر إلى تغير الوصفة أو الجدولة الزمنيّة بجدولة زمنيّة أخرى وبمعطيات علاجيّة جديدة، حتى تحدث الاستجابة الموجبة.

– التأكد من سلامة اختيار البرامج المناسبة لتحقيق الهدف العلاجي، ومدى ملاءمتها لقدرات واستعدادات وحاجات ومتطلبات الجماعة.

أما فيما يتعلّق بالمعطيات التي يستند عليها نجاح العلاج من قبل العملاء، فهي التالي:

– اتباع العملاء لإرشادات الأخصائي الاجتماعي وفقًا للخطة العلاجيَّة المرسومة، باتباع ما يوصف من علاج، والامتناع عمَّا يجب الامتناع عنه، حتى يترك العلاج أثره الموجب.

– إنَّ ما ينشأ من تفاعلات موجبة بين أعضاء الجماعة، يسهم في تحقيق أهداف طريق الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة، ويحقّق أهداف عمليَّة العلاج ويدفع تجاه النهوض رفعة.

– قدرة الجماعة على الاستفادة من العلاج، من حيث ظروفها الصحيَّة والنفسيّة والاجتماعيَّة والعقليّة، كأن لا تكون جماعة تعاني من بعض الأمراض المزمنة التي يصعب إيجاد حلول لها، ومن تمّ يتعذر إيجاد معالجات ناجحة.

– تقبل العملاء للأخصائي الاجتماعي، وللمؤسّسة وللمشكلة، ما يجعلها في حالة تجاوب ورغبة في التعاون والمشاركة، في تنفيذ خطة العلاج المعتمدة.

وحدة عمليَّة التقييم والتقويم تساندًا وترابطًا:

التقييم كلمة ذات مفهوم تقديري لما يشاء له أن يقوّم قبل تقويمه؛ فعلى سبيل المثال: طبيب الأسنان أوَّل ما يقوم به مع العميل هو الكشف على أسنانه بغاية كشف الحالة التي هي عليها (مرضًا أو اعوجاجًا)، ثمَّ يقدّر الطبيب المتطلبات للتّقويم والمعالجة، ويترك أمر القرار بيد العميل، فإنْ قرّر قبوله لقيمة التقويم وزمنه ومتطلّباته المترتّبة على فعل التقييم بدأ الطبيب في عمله تقويمًا، حتى تصبح أسنان العميل على الشِّفاء والاستقامة بعد أن كانت على المرض والاعوجاج.

إذن: التقويم ذو مفهوم إصلاحي علاجي؛ ذلك لأنَّه المتجاوز لعمليَّة التقييم، التي لا تكون إلَّا سابقة عليه، أي: (لا يكون التقويم إلَّا مرحلة ملاحقة لعمليَّة التقييم وحالته التي هو عليها)؛ ومن ثمَّ تصبح الحالة بعد التقويم مختلفة تمامًا عمَّا كانت عليه في أثناء مرحلة التقييم والمرحلة السَّابقة عليه، بل فوق ذلك تصبح هي المرحلة الأكثر تفضيلًا.

ولذا فالتقويم ليس مثل التقييم؛ ذلك أنَّ التقييم تقديري (تقدير حالة المقيّم كما هي عليه قبل أن يقوَّم)؛ ولهذا فالتقويم هو عمليَّة الإصلاح أو المعالجة لحالة المقيَّم.

إذن: فالقَوَّاميَّة تمكن مِن حَمْل المسئوليّة الأخلاقيّة وعيًا بما يجب، وتمكّن من تبوّء المكانة المهنيَّة وعيًا ودراية، ولهذا في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة لا تقويم بلا مقوِّم متخصّص تجاه ما يجب، وفي المقابل يفقد الأخصائي الاجتماعي قيمته وقوَّاميَّه إذا حاد أو تخلَّى وانحرف عن كلّ ما من شأنه أن يجعل له مكانة ورفعة مهنيَّة بها بين النَّاس يُفضَّل ويُقدَّر.

وعليه فإنَّ المقابلة التقييميَّة تهدف إلى قياس درجة التفاعل بين طرفي المقابلة، وبالأخصّ أثناء عمليَّة العلاج؛ أي إنَّها مقابلات تجرى من أجل الكشف عن سلامة الأثر الذي تتركه المقابلة على شخصيَّة العميل أو العملاء ويتحدد هذا الأثر في نمطين رئيسين هما:

أ- الأثر الإيجابي: ويبرز هذا الأثر على شخصيَّة العملاء فردًا أو جماعة أو مجتمعًا، في وجود درجة عالية من التفاعل بين الطرفين (العملاء والأخصائيين)، فينتج عنه الصّفات التالية: الثِّقة بالنَّفس- الاتزان الوجداني- حمل المسؤوليَّة الاجتماعيَّة- القدرة على التعبير عن المشاعر- المشاركة الإيجابيَّة- استبصار الذَّات- التطلع للآخر- تحكيم الضَّمير- استيعاب المجتمع للحالة كما هي. ويتشابه هذا النّوع من المقابلة التقييميَّة مع المقابلة المرنة التي تتميز بروح المودة بين الأخصائي الاجتماعي والعملاء، وقد ترتقي العلاقة بينهما إلى درجة الصّداقة وبخاصّة إذا كانت الحالة المدروسة مطوّلة زمنًا، أو ممتدّة ومركّبة، وهذه تحتاج إلى تتبع التغيرات الطارئة عليها. وهي لم تعد أسئلتها بشكل نهائي مسبقًا، بل تكون الاستفسارات

المقدمة للفرد أو للجماعة قابلة للتوضيح والشرح، والتغيير والتهذيب كلّما تطلَّبا الأمر ذلك، ويكون التسجيل أوّلا بأوّل، وقد يتم التسجيل في نهاية المقابلة.

ب- الأثر السَّلبي: يظهر هذا النمط على شخصيَّة الجماعة، عندما ينعدم التفاعل والاستجابات البنّاءة، وينتج عنه الصفات التالية: الانسحاب- الاتكالية- انعدام الشَّفافيَّة- نقص الثِّقة بالنَّفس أو فقدانها- التسرع في الأحكام- نقص الحماس والمشاركة مع الآخرين- الانغلاق والتقوقع- عدم تقبل المجتمع للحالة وظروفها. ويتشابه هذا النّوع من المقابلة التقييمية مع المقابلة المقنّنة، التي تعد أسئلتها بشكل مقنّن من حيث اللغة والأسلوب، وتصاغ بشكل نهائي في استمارة مقابلة يتقيّد العميل أو أعضاء الجماعة بالإجابة عليها، ويتقيد الأخصائي الاجتماعي بتسجيل تلك الإجابات أثناء إجراء عمليَّة المقابلة؛ ولكن هذا الأسلوب يضعف فرص الحوار، ومن تم ينعدم التفاعل بين الطرفين.

ومع أنَّ التقويم عمليَّة من عمليَّات الخدمة الاجتماعيَّة فإنَّه المأخوذ به في كلّ العلوم والتخصّصات العلميَّة النَّاهضة.

ومع أنَّ عمليَّة التقويم هي أحد عمليَّات مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، فإنَّها العمليَّة التي تستوجب بذل الجهد من قِبل الأخصائيين الاجتماعيين لمراجعة ما سبقها من عمليَّات، أي إنَّها العمليَّة المتكاملة تقصِّيًا بغاية معرفة الخطاء إن حدث أثناء أيِّ عمليَّة من العمليَّات السَّابقة عليها، حتى يقف

الأخصائي على الخطاء الذي حدث منه أو من غيره وعن غير قصد؛ ومن هنا يتم تصحيح الخطاء؛ بغاية تقويم تلك الجهود التي بذلت، وبغاية تقويم حالة العميل.

إنَّ مفهوم التقويم يدلُّ على حُسن أداء العمل مهنة أو حرفة؛ والمقوِّم لا يكون مقوِّمًا إلَّا للاعوجاج، أي: ضابطه وصاقله استقامة؛ ولذا فالقوّام هو المتمكّن من المعرفة والدِّراية الممكِّنة من حُسن التقويم وقراءة معطيات المقوَّم سواء كانت عمليَّات مهنيَّة، أم بحث من البحوث، أم سلوك شخصيَّة، أم انحرافات متعدّدة.

وحدة المستويات القيميَّة تحليلًا متساندًا ومترابطًا

هي خمسة مستويات قيميَّة متساندة ومترابطة القيم، تمكّن البحَّاث والأخصائيين الاجتماعيين من النُّهوض بالمهنة والارتقاء بالعملاء والأفراد والجماعات والمجتمعات إلى ما يمكّنهم من المشاركة ونيل المأمولات، وهذه المستويات النَّاهضة والمترابطة هي:

وحدة التحليل على المستوى القيمي الذَّاتي:

ترتبط الذَّات بالمفرد المؤنث، وتحتوي على المختزل المذّكر والمؤنث، كما تختزل الحجرة كمسمى مؤنث على الجدران (الحيطان) المذّكرة المتكوِّنة منها، والتي أعطتها صورتها الكاملة، وكما يحتوي جسد الإنسان المذكر على أعضاء مؤنثة، كالعينين والأذنين، واليدين، والصّرة، والرقبة، وهكذا جسد الإنسان المؤنث، يحتوي على أعضاء مذكّرة، كالرأس، والسَّاقين، والذّراعين، والقدمين، والقلب، وغيرها: {يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[57]، وبما أنَّ النّفس واحدة فلماذا لا نتّقي الله عزَّ وجلَّ في أنفسنا، ونجعل بينها مودة ورحمة؟ ولماذا التعصُّب والتفرُّق والصِّدام والنّفس واحدة؟ ولأنَّ النفس واحدة؛ فلماذا لا نبني الذَّات المعتدلة والمتّزنة التي تجعل بيننا وحدة قيميَّة وتحقّق لنا الاعتبار؟

[57] . سورة النساء، الآية 1.

الذاتيَّة: مستوى معرفي وإدراكي، والذات المدركة هي التي تعرف أنَّها تعرف؛ ولذا فإنَّ التمركز على معرفة الذَّات لذاتها يؤدِّي إلى تمركز المعرفة على ما يجب وما لا يجب.

وتتكون ذات الإنسان من: قيم المجتمع، من أوامره ونواهيه، مما يحب ومما يكره؛ ولذلك عندما تتوحّد آمال المجتمع وآلامه ودينه في الفرد إلى درجة تتساوى عنده كفتا الحياة والموت، يصبح الفرد وكأنَّه مجتمعٌ بأسره، أو أمّة بكاملها؛ نتيجة بناء الذَّات الاجتماعيَّة فيه، مما يجعل حال لسانه حال لسانها، وسلوكه سلوكها؛ ولذا فالذَّات مكوّنٌ قيميٌّ اجتماعيٌّ وليست مكونًا فرديًّا، فعندما تتجسّد الذَّات في السُّلوك لن تجد الأنانيَّة (الشخصانيَّة) مكانًا لها بين النَّاس، وعندما تتكوّن في الإنسان بأماني المجتمع تزيل عنه الأنانيَّة، وتغرس فيه روح الأمّة بقيمها؛ ولهذا يكون الفرد وكأنَّه أمّة بحالها، وتكون الأمّة وكأنَّها الفرد بحاله، وليس بأنانيّته.

إنَّ تمسّك الفرد بالدين والعرف والقيم التي تُميّز شخصيّته عن غيره لا يُعد تمسكًا شخصانيًّا، بل يعد فعلًا ذاتيًّا وليس خاصًّا؛ ولذلك عندما تتمسّك الذَّات بقيمها، وتمارسها بوعي، فإنَّ سلوكها هذا يُعد سلوكًا عامًّا، تقابله ردود أفعال اجتماعيَّة مُرضية، وهذه ردود الأفعال المرضية محفِّزة لمشاعر الاعتراف والتقدير التي تحقّق الاعتبار الاجتماعي للذات، سواء أكانت ذات فرد، أم جماعة، أم مجتمع.

هكذا تتكوّن الذَّات عندما يحسّ الفرد بأنَّه المجتمع، أو الأمّة، وعندما تحسّ الأمّة بأنَّها فرد بوحدتها؛ ولذا فإنَّ الذَّات هي الإحساس بالمساواة والتمسّك بها، وبما أنَّها تعبّر عن المساواة، إذن: لا تحيّز فيها، وبما أنَّها كذلك فهي الذَّات العلميَّة التي ينبغي لها أن تراعى وتؤخذ في الحسبان من قبل البحَّاث والدّارسين؛ ولهذا الاتصاف بالذاتيَّة لا يُعدّ عيبًا كما يعتقد البعض من الباحثين؛ لأنَّ الذاتيَّة المعتدلة نقطة ارتكاز؛ وذلك لارتباطها بالموضوع الذي لا تنفصل عنه؛ ولهذا تعبّر الذَّات المفردة عن نحن الجمع، فالباحث العربي المسلم عندما يجري بحثًا لا ينبغي له أن ينسلخ عن عروبته ودينه: (عن ذاته الواعية) بل ينبغي له أن يتمسّك بهما في كلِّ المجالات والمحافل العلميَّة، وما هو العيب في ذلك؟ إذا كان العيب في التمسّك بهما، إذن: لماذا التمسّك بهما أصلًا خارج حدود البحث؟ وإن كان لا عيب فيهما، فلماذا لا يزيد اعتزازنا بهما: (الاعتزاز بالدين والقيم المفضلة)؟ ولماذا لا يزيد تمسّكنا بهما أكثر عند إجراء البحوث والدِّراسات العمليَّة؟

ومن ثمَّ فالباحث العلمي هو الذي يلتزم بالموضوع الذي يبعده عن التحيّز والتعصّب السَّلبيين، فإذا كان الموضوع على سبيل المثال: دراسة ظاهرة السّرقة في مدينة طرابلس من واقع السّجلات الرّسميَّة فإنَّ ذلك يتطلّب جمع المعلومات الكافية للدراسة، كما أنَّه يتطلّب تصنيف المعلومات وتحليلها لأجل الوصول إلى نتائج علميَّة وتفسير علمي؛ ولهذا لا عيب أن

نجرِّم ظاهرة السّرقة وفقًا للنتائج المتوصّل إليها بمنظور العرف والدين اللذين يكوِّنان الذَّات المعتدلة (مركز الاتزان).

وعليه: إنَّ تمسّك الأنا والذَّات بالموضوع يجعل اتجاهاتهما موضوعيَّة وبحوثهما علميَّة، ويتمّ الاتفاق مع الدكتور علي زيعور في قوله: "لا وجود للذات البحتة، بل هناك علاقة دائمة بين الذَّات والموضوع"[58].

وحدة التحليل على المستوي القيمي المنطقي:

هي أحد قواطع خماسي تحليل القيم، وهي مكمن قيميّ، تعيشه الشخصيَّة كمرحلة من مراحل الوعي الفكري والثَّقافي التي تنقلها من حيّز التمركز على الذَّات، إلى التطلُّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيَّات التي تميّزه عن غيره وفقًا لقدراته، واستعداداته، ومواهبه، وإمكاناته؛ فتتمكّن الشخصيَّة من معرفة الفوائد التي يمكن أن تحدث لو توصّل الأنا والآخر إلى مشاركة وتعاون، وعندما تُستكشف تلك الإمكانات، ويُستكشف الحُسن والذّوق يحدث الالتفات، ويزداد الانتباه، ويرتفع الشّعور بأهميَّة الآخر، والحاجة إليه، وتزداد أهميّته فيحدث التجاذب الطبيعي، والتجاذب الواعي في الوقت ذاته.

وتُعدّ هذه الحالة منطقة وسط بين الذاتيَّة والموضوعيَّة التي لا يمكن أن تنتقل الشخصيَّة إليها أو تصلها هكذا نُقلة مرة واحدة، وكأنَّ مكّونات الشخصيَّة قوالب، أو قواطع منفصلة كلّ واحدة منها مستقلة بذاتها عن

[58] علي زيعور، مذاهب علم النفس، بيروت: دار الأندلس، الطبعة الثالثة، 1980م، ص 136.

الأخرى؛ فلا يمكن أن ينتقل تفكير الإنسان، وأحاسيسه، ومشاعره، وأفكاره جملة واحدة من الأنانيَّة إلى الذاتيَّة، ولا يمكن أن تنتقل هكذا مرّة واحدة من الذاتيَّة إلى الموضوعيَّة، أنَّها الأمر الطبيعي الذي تنمو فيه شخصيَّة الإنسان من الطفولة إلى المراهقة، إلى البلوغ، والرشد، والشيخوخة.

ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة هي مجال نشاط فكري وسلوكي متميّز عن الذاتيَّة، ومتميّز عن الموضوعيَّة، وفي الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقومات الذاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، مما جعله قاطعًا مستقلًّا بذاته في خماسي تحليل القيم.

ولهذا عندما تقتصر رؤى الشخصيَّة على مكوّنات الذَّات القيميَّة توصف بالذاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرؤى، وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به، أو تفعله، وتسلكه، حينها توصف الشخصيَّة في هذه الحالة بأنَّها منطقيَّة، أو تطلعية؛ إذ تتطلع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقَّع، أو مفترض.

والعيب الذي قد يظهر في هذه الشخصيَّة، أو هذا القاطع من الخماسي، هو ليس كلّ مفترض أو متوقَّع حقيقة؛ فالمفترض أو المتوقَّع بالضرورة يحتاج إلى زمن، ومبررات الإثبات، أو النفي؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجَّلة، فإذا سلكتْ الشخصيَّة، أو فعلتْ، أو حكمتْ وفقًا

لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو تسلك خطأ، فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيَّن حتى لا يقع الخطأ؛ فالقضية التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتِبت له حجّة.

عبد الله وقف بعرفات.

إذن: عبد الله كُتِبت له حجّة.

هذه قضيّة منطقيَّة لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضيّة ليست صادقة؛ ولهذا يصبح الشكّ يحفّها من كلِّ جانب؛ فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفة؛ فلا تكتب له الحُجَّة، وإذا كان موظفًا، أو طبيبًا، أو حارسًا، أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة بهدف أداء مهام خدميّة فقط، فلا تُكتب له الحُجَّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون عاقدًا نيّة الحجّ بدليل الإحرام، وقد أدى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، في هذه الحالة يصبح الوقوف بعرفات حقيقة لأداء ركن من أركان الدين الإسلامي، وحينها ينطبق المنطق على الواقع الموضوعي.

وعليه: فالإنسان المتطلّع للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي هو في حالة ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة، أي: إنَّه في حالة النُّقلة من التمركز على الذَّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمّ يتفاعل مع كلِّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس منغلقًا على

تراثه القيمي فقط، بل إنَّه في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانيَّة الأخرى، وفي الوقت ذاته غير مفرّط في خصوصيّته الذاتيَّة، وبعد أن كانت المغالبة للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس والعاطفة تتهذّب بالتفكير والسُّلوك والفعل المنطقي.

وحدة التحليل على المستوى القيمي الإنسحابي:

بما أنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه كما يقولون، إذن: لا بدَّ أن يكون ذاتيًّا بالضّرورة، وهذا لا يعني أن يأتي يوم لا تحيد فيه الشخصيَّة عن ذاتها، وحيادها هذا عن ذاتها لا يلغي أنَّها اجتماعيَّة الطبع والتطبُّع، وفي الوقت ذاته قد يصفها بالمنطقيَّة عندما تتطلّع إلى ما يجب، وقد يصفها بالإنسحابيَّة؛ نتيجة لسلوكها السَّالب تجاه القضايا، والمواقف، والمواضيع التي ينبغي أن يكون لها دورٌ متفاعلٌ تجاهها.

فالذَّات بوصفها مكوّنًا قيميًّا ومركزًا لاندماج المشاعر والعواطف على المستوى الاجتماعي، تشكِّل رقيبًا على الأنا وأطماعها الشخصانيَّة، وتكوّن قاعدة عريضة لأفرادها وجماعاتها المتطلِّعين لما هو أفضل؛ ولهذا توقّعات الذَّات من أفرادها وجماعاتها هي دائمًا أن يكونوا مثالًا اجتماعيًّا يصبو لما هو أفضل، ولكنّ هذا التوقّع أو هذا الافتراض لن يتحقّق دائمًا، بل في بعض الأحيان والظُّروف يتحقّق ما هو أدنى، أو أقلّ من المتوقَّع، وعندما يسلك الفرد سلوكًا أدنى أو أقلّ مما ينبغي، أو أن يتخلَّى عن أداء

المهام والمواقف، أو ينسحب من ميادين أدائها، في هذه الحالة يوصف بالإنسحابي؛ إذ أصبح سلوكه وأفعاله في حالة توصف بأنَّها: (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة).

والميل هنا: "قوَّة داخلية تحرك الكائن الحي نحو أهداف معيّنة"[59]، إنَّه تعريف عام يحتوي على ميل الكائن العاقل، وميل الكائن غير العاقل؛ وذلك بشموليَّته لكلِّ كائن حي، وهذا لا يعنينا في شيء إذا لم يكن المقصود به الكائن البشري الذي لا يمكن أن يميل إلى أيّ جهة أو موقف إلّا بعد اختيار وتبيّن لما هو أحسن، أو أجود، أو أفضل، وأحيانا عندما تنقص المعرفة يكون الميل إلى الأقل، والميل فيه مغالبة طرف على آخر، أو مغالبة موضوع على موضوع، وتُتّخذ قراراته بإرادة، وتنفّذ عن قصد؛ ولهذا ميل الكائن العاقل يختلف عن ميل الكائن غير العاقل الذي لا يتمكّن من اتخاذ القرار عن وعي، ويسعى إلى تنفيذه بإرادة.

وعليه:

يتوقّع المجتمع من أفراده الالتزام بأوامره ونواهيه، ويتوقّع أيضًا أن تكون شخصيَّات أفراده وجماعاته تطلّعية، وفي الوقت ذاته يودُّ أن يكونوا حريصين على التمسّك بذات المجتمع التي تميّزهم عن غيرهم، وتحافظ على هويّتهم، ولكن لا يودّ لهم التقدم الذي من شأنه أن ينهي خصوصياتهم العقائدية، والثَّقافيَّة، والقيميَّة، ولا الانسحاب من ميادين إثبات الهويّة؛ فهو لا يقبل

[59] . المصدر السابق. المجلد الأول، ص 460.

التخلّي عن الذَّات، ولا يسمح لأحدٍ من أفراده في التفريط فيها، ومن يسلك أو يفعل ذلك توصف شخصيّته بأنَّها شخصيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة).

وحدة التحليل على المستوى القيمي الأناني:

الأنا هو ضمير يعود على من ينطق به، فأنا يشير إليَّ، وأنت تشير إليك، وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستثنى غيرنا، وترتبط الأنا بالأنانيَّة عندما تخرج عن الذَّات والموضوع، وتوصف في هذه الحالة بأنَّها في حالة ميل، أو انحراف سلوكي يؤدِّي بها إلى الأنانيَّة أحد مقاطع خماسي تحليل القيم؛ حيث إظهار السُّلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ في الوجود، أو الظهور المماثل.

فالأنانيَّة: مرحلة من مراحل تكوين الشخصيَّة الفاقدة للقيم، والثّقافة، والسُّلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرغبات، والأهواء، والأطماع الخاصّة التي تسيطر على سلوك الفرد وأفعاله؛ إذ ينعدم عندها الإحساس بالنّخوة، والغيرة والشَّرف؛ لفقدانها كثيرًا من العواطف، أو لفقدانها الحُجَّة المنطقيَّة، أو لفقدانها الموضوعيَّة.

وترتبط الأنا بالآخر والموضوع عندما تكون العلاقة موجبة، وتنفصل عن الآخر والموضوع عندما تكون العلاقة سالبة؛ فعندما تظهر الأنا مع

الآخر في الموضوع الواحد بالتساوي وفق الحاجة والجهد تقوى العلاقة بينهما، وعندما تظهر الأنا على حساب الآخر تضعف العلاقة بينهما، وقد يحدث الصّدام، وتسود الفرقة إلى حين الالتزام بحقِّ الآخر في الموضوع دون منّة؛ فالأنا الموجبة هي التي تتمسّك بما لها من الموضوع دون أن تمسّ حقّ الآخر فيه.

وعندما تكون أهميَّة الأنا وعيًا عند الآخر، وتكون أهميَّة الآخر وعيًا عند الأنا، تتكون الذَّات المشتركة التي تعترف بحقّ الجميع في الموضوع العام، وعندما تعمّ الجهالة بأهميَّة الأنا والآخر في الموضوع المشترك يُطمس أحدهما على حساب الآخر، ويسود السُّلوك الأناني الذي تترتَّب عليه الأفعال السَّالبة.

وبما أنَّ لكلِّ فرد خصوصيّة تميّزه عن غيره وفقًا لقدراته، واستعداداته، وميوله، وثقافته، إذن: لكلّ أنا خصوصيّة، وبما أنَّ لكلِّ أنا خصوصيّة؛ فلا داعي لطمسها، بل من الواجب العلمي إظهارها بما يمكّنها من أداء مهامها الخاصَّة بموضوعيَّة واعتبار، وعندما لا تطمس الخصوصيَّة لا تطمس الذَّات العامَّة التي هي مجموع تفاعل الخصوصيّات، (فأنا كفرد) أعرف أنَّ ليّ حقوقًا، وعليّ واجبات؛ ولذا أتحمّل أعباء المسؤوليَّة مع الآخرين الذين لهم علاقة بالمواضيع المشتركة بيننا، وبخاصّة المواضيع التي تكوّن مجالات العلائق القيميَّة على مستوى ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات.

ويكون الفرد أنانيًّا بخروجه عن حدود (أنا الواثقة) نتيجة مصلحة خاصَّة، أو طمع في شيء هو حقّ لغيره، وتكون الأنا الخيّرة هي التي تقف عند حدودها، ولا تمتدّ طمعًا في السّيطرة على غيرها، وتوصف بأنَّها مثال ينبغي لنا الاقتداء به.

وعليه: ينبغي أن تسيطر كلّ أنا على أناتها؛ حتى لا توصف بالهامعة الطّامعة، وعندما يسيطر كلّ فرد بإرادة على أنانيّته، وشخصانيّته، ويصحح عيوبه، ويسلك كما يودّ للآخرين أن يسلكوا تجاهه، ويحبّ لنفسه كما يحبّ لغيره فإنَّ ذلك يجعله في صفة المجتمع بأسره، وتصبح الذاتيَّة هي الشخصيَّة السَّائدة بين أفراد المجتمع، وجماعاته، وهذه الذَّات هي التي ينبغي للجميع أن يتمسَّك بها، ويدافع عنها الجميع؛ ذلك لأنَّها ملكيَّة عامَّة توحّدت في الأنا بقيم المجتمع، ومن ثمَّ، علينا أن نميِّز بين الأنا وأفعالها، والأنانيَّة وأفعالها، وفي هذا الأمر نقول:

الأنا كبرياء الذَّات وأنفتها؛ نتيجة أخذها بقيّم المجتمع، والفضائل الإنسانيَّة الخيّرة، أمّا الأنانيَّة فهي نتيجة الطمع والتعصّب للباطل والحياد عن الحقّ؛ ولهذا يكون الإنسان كفرد مثالًا عندما يتمسّك بالأنا الملتزمة بكبريائها الإنساني الذي يقدِّس قيمة الإنسان، ويحافظ على نوعه، ويكون الإنسان ذاتًا عندما تتوحّد قيم المجتمع فيه، ويلتزم بها؛ فتكون أمانيه من أماني المجتمع، وآلامه من آلامه؛ ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فهو يرتقي إلى أن يكون أمّة بحالها عندما تتوحّد خصائص الأمّة، وأمجادها،

وعزّتها، وتاريخها، وآمالها فيه، مما يجعله يحس بإحساسها، ويتألم لآلامها، وهذه الصِّفات التي كانت نتاج تشرّبه القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، هي لا تكاد توجد إلّا متفرّقة عند غيره.

إذن: الذي يحدِّد السُّلوك الأناني، أو الذَّاتي هو الإطار المرجعي؛ فإذا كان الإطار المرجعي أنانيًّا ذا اتجاهات سالبة يظهر دور الأنا على حساب قيم المجتمع، أو الأمّة الفاضلة، ومن ثمَّ يوصف السُّلوك بالأناني، وإذا كان الإطار المرجعي جماعيًّا أو مجتمعيًّا موجبًا يظهر دور الذَّات المستوعبة لطموحات الأنا من خلال القيم المشتركة بين أفراد المجتمع.

وحدة التحليل على المستوى القيمي الموضوعي:

تُعدُّ الموضوعيَّة أحد مقاطع خماسي تحليل القيم، وهي مكوّنٌ قيميٌّ استيعابيٌّ تندمج فيها المعارف الإنسانيَّة والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالًا وسُلوكيَّات تؤدَّى من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميَّة ذات أبعاد ومرامٍ إنسانيَّة خالية من التعصُّب والتحيُّز.

والموضوعيَّة هي العقليَّة التي تتجاوز بها الشخصيَّة مرحلة العاطفة والمنطق؛ فلا تحتكم إلّا بالعقل فهي بعد أن كانت تحتكم في قاطع (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة) بالمنطق الذي يعتمد في أحكامه على ما هو متوقَّع أو مفترض، أصبحت تحتكم بالعقل الذي يميّزها في أحكامها وسُلوكيَّاتها التي تفعلها بعد أن تتبيّن الحقّ من الباطل، والخير من الشر، وما يجب وما لا يجب.

وعندما يُقيّم الإنسان الظُّروف، والمواقف الفرديَّة، والجماعيَّة، والمجتمعات بمعياريّة، توصف أحكامه وتقييماته بالموضوعيَّة؛ ولذا فالموضوعيَّة مرحلة وعي متقدّم على مستوى الثّقافة والفكر الإنساني، وهي الالتزام بالحقائق المجرّدة قولًا وعملًا، فلا تميل كلّ الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة؛ وذلك لرفض الضمير العام لكلِّ مشوّهٍ وغير صائبٍ؛ ولهذا فالموضوعيَّة مرحلة تيقُّن، ومعرفة يتجاوز بها العقل كلّ مراحل الانحرافات، والميول السَّالبة التي تحيد أفعالها كثيرًا، أو قليلا عن الحقيقة، إنَّها المبتعدة عن المنقوص، والمتمسِّكة بكلِّ فعل تام.

والموضوعيَّة حالة مستقلّة بذاتها تُقيّم فيها الأمور بنزاهة لا بعاطفة؛ فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع: (الذاتيَّة) في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرُّف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي: (الأنانيَّة) و(ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة)، بل إنَّها حالة الانسجام، والتطابق مع مبررات المواضيع، ومعطياتها العلميَّة.

الموضوعيَّة: هي الحقيقة مهما اختلف الزَّمان، والمكان، والثقافة، أو الدِّين، والعرف، فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثّر سالب، أم ذات مؤثّر موجب؛ فالكذب حقيقة، والصّدق حقيقة، والنّفاق والرّفض والتمرُّد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعيَّة هي: قول الحقيقة، وفعل الحقيقة؛ ولذا وفقًا لمعياريّة الموضوعيَّة ليس عيبًا أن يقال للكاذب كاذب، وللسَّارق سارق، وللصّادق صادق، بل العيب أن لا يقال ذلك كحقيقة، هذه هي

الموضوعيَّة كحقيقة لا تتبدّل، ولا تتغيّر مهما تغيّر الزَّمان والمكان، أو تغيّر الأفراد وتبدلوا؛ نتيجة تعرُّضهم إلى مؤثّرات ومتغيّرات تابعة أو مستقلة.

وبما أنَّ الحقيقة هي ما صدق على الموضوع، إذن: ليس بالضّرورة أن تكون الموضوعيَّة منطقيَّة؛ وذلك لأنَّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقيَّة؛ فمعايير الحقيقة هي الصّدق والثبات، أمّا معايير المنطق فهي الافتراض والتوقّع؛ فالإنسان من حيث الوجود وجوده حقيقة موضوعيَّة وليس وجودًا متوقَّعا، أمّا من حيث التفكير فتفكير الإنسان منطق؛ وذلك لارتباطه المترتّب على وجوده الذي به يتميّز بقدرات عقليَّة، ومعرفيّة، وفكريّة؛ ولهذا فالحكم على أنَّ الإنسان موجود، وأنَّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعيَّة، ولكن ليس بالضّرورة أن كلّ إنسان موجود مفكّر؛ إذ إنَّ البعض موجودون، ولكنَّهم فاقدو حاسَّة التفكّر والتذكّر، التي يفترض أنَّها خاصّية إنسانيَّة، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يكون حقيقة.

وعليه: فالموضوعيَّة حقائق، وليست تنبؤات؛ التنبؤات قد تقع كما هو متنبّأ بها، وقد لا تقع كذلك، أمّا الموضوعيَّة فلها مصادق، ويمكن إثباتها، والبرهنة على وجودها، والتعرُّف على الشخصيَّة التي تتّصف بها؛ ولذا على الباحث ألَّا يخرج عن الموضوع قيد البحث ووفقًا لمعطياته دون

الالتجاء إلى التنبؤات Prediction التي قد لا يكون لها سندٌ على أرض الواقع[60].

إذن: الموضوعيَّة لا اشتراطات عليها؛ لأنَّ الاشتراطات أثقال وقيود، وإذا كانت الموضوعيَّة ذات أثقالٍ وقيودٍ على الحقيقة فإنَّها ستكون على صفة الانحيازيّة، وإذا كانت كذلك فهي لا تعدّ موضوعيَّة.

[60] W. H Theory construction and the problem of objectivity; Symposium sociological theory Publishers New York P. 504.

وحدة وسائل الدِّراسة تساندًا وترابطًا

لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة وسائل علميَّة وعمليَّة متساندة ومترابطة مهنيًّا ومعرفيًّا وسُلوكيًّا؛ ولذا تجرى الدِّراسات والبحوث في طرق الخدمة الاجتماعيَّة، على أساس دراسة العلاقات المتبادلة بين عدد من المتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدّخيلة، التي تسهم في ظهور الظَّاهرة أو المشكلة البحثية؛ ولكي تكون الدِّراسة علميَّة وموضوعيَّة ينبغي استخدام مجموعة وسائل أو أدوات؛ وذلك لكي يتمكّن الأخصائيّون الاجتماعيّون من جمع المعلومات والبيانات، ومن تم تحليلها وتشخيصها من أجل إيجاد الحلول والمعالجات المناسبة. ويشترط في هذه الوسائل العلميَّة:

– أن تكون ملائمة لطبيعة الدِّراسة، ولطبيعة الجماعة ونوعها والحالة التي هي عليها.

– إمكانيّة تطبيقها وتنفيذها عمليًّا.

– استيعابها للمتغيرات المتوقَّعة وغير المتوقَّعة، للظاهرة وللحالة المدروسة.

– أن تكون مناسبة وصالحة لإيضاح متغيرّات الظَّاهرة المدروسة والعوامل ذات العلاقة بصورة دقيقة، وأن تكون قابلة للقياس.

وأهم الوسائل المتبعة في عمليَّات الدِّراسة في طريق الخدمة الاجتماعيَّة، هي:

وحدة المقابلة تساندًا وترابطًا:

تعتبر المقابلة من أهم الوسائل المتبّعة في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة بطرقها المتعددة، ويقصد بها (لقاء يتم بين طرفين على موضوع محدد، منطلقًا من أسباب ومبررات ومحقّقا لأهداف من ورائها غايات)، ويشترط لنجاح المقابلة المهنيَّة، حدوث التفاعل بين كلٍ من الأخصائي الاجتماعي ومصدر المعلومة سواء كان الفرد أم الجماعة أو المصادر البيئيَّة الأخرى.

أنواع المقابلة:

المقابلة هي واحدة وتعتبر وسيلة لجمع المعلومات والبيانات ولكنّها تختلف من حيث الاستعمال المهني ومجالات التخصص إلى أربعة أنواع هي:

أوَّلًا: المقابلة من حيث الغرض، تنقسم إلى:

1- مقابلة تجميع المعلومات والبيانات: يعد تجميع المعلومات العمليَّة الأولى من عمليَّات الدِّراسة، ولهذا يتوجّه الأخصائي إلى مصادر المعلومات سواء كانت مصادر بشريّة أم كانت مصادر مكتوبة، ويهدف هذا النّوع من المقابلة، إلى تحقيق هدفين رئيسين هما:

أ- الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات عن المبحوثين وظروفهم الشخصيَّة والبيئية، من أجل فهم مشاكلهم وتفهّم حالاتهم كما هي عليها.

ب- التأكّد من مصداقيّة المعلومات التي تمّ تجميعها من مصادر مختلفة مثل السّجلّات المكتوبة، وأجهزة الحاسوب.

* ولنجاح هذه المقابلة ينبغي اتباع الخطوات الآتية:

- يعمل الأخصائي الاجتماعي على مراجعة المعلومات المبدئيّة التي تحصل عليها قبل موعد المقابلة.

- أن يلخص الأخصائي الاجتماعي سبب المقابلة وأهميَّتها، والأهداف التي يسعى لتحقيقها من ورائها.

- يعمل على رسم خطة تتضمن مجموعة أسئلة يقترحها على المبحوثين أثناء المقابلة لمعرفة مدى تناسبها مع قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم.

- العمل على تثبيت قيم العلاقة المهنيَّة التي من بينها: الثِّقة والاحترام والتقبل والتقدير والاعتبار.

- تخفيف التوتّر الناشئ عن المقابلة الأولى، من خلال تهدئة العملاء أو الجماعة وطمأنتهم على سريَّة المعلومات التي يدلون بها، وتبيان ما يمكن تقديمه لهم وفقًا لإمكانيَّات المؤسّسة.

- الاستعداد للأسئلة المتوقَّعة وغير المتوقَّعة من قبل الفرد أو الجماعة أو أحد أعضائها.

وللأخصائي الاجتماعي الحرِّيَّة في اختيار نوع الأسئلة التي يجمع بها المعلومات، فقد يهتم أخصائي اجتماعي بمعرفة تاريخ الحالة والمستوى التعليمي لكل عضو من أعضاء الجماعة، والمستوى الاقتصادي ونوع العمل والمهنة أو الحرفة، والديانة والجنسيَّة، وعدد أفراد الأسرة ممتدة أو نواة، والنّوع ذكر أم أنثى، كل هذه المعلومات مهمّة، ولا حرج في إعطائها ويمكن تسجيلها في المقابلة الأولى؛ لأنَّها لا تحتوي على عناصر الحرج، وتتطلب سريّة من الأخصائي الاجتماعي. وقد يهتم أخصائي آخر بتجميع المعلومات المتعلقة بالحالة من حيث نوعها، وعمر الحالة وزمن وقوعها، والبحث عن المتغيرات المتداخلة التي أنتجتها سواء كانت أسريّة أم كانت نتيجة دور قام به أحد أفراد الأسرة، أو نتيجة ردود أفعال أو نتيجة إهمال، أو مرض أو إجبار من آخرين سواء كانت له علاقة بهم أوم لم تكن، وهذا التمايز بين الأخصائيين الاجتماعيين يجعل من المقابلات في الخدمة الاجتماعيَّة فنًّا مهاراتيًّا يميز أخصائي عن آخر، وقد يحقِّق منافسة تسهم في تطور الطريقة أو المهنة بكاملها.

وتتحدد المعايير القيميَّة لمقابلة تجميع المعلومات والبيانات، وفقًا للآتي:

– تحديد الموضوع تحديدًا دقيقًا: من حيث فروضه وأهدافه وفلسفته ومجالاته النَّظريّة والعمليَّة؛ بحيث تتمحور المقابلة عليه دون النَّظر إلى هامشيَّات قد تسهم في ضياع الوقت أو تضييعه، ولا تضفي شيئًا هامًّا

على الموضوع. وعلى الأخصائي الاجتماعي ألاَّ ينتقل إلى موضوع آخر إلاَّ بعد الانتهاء من تغطية الموضوع الأوَّل وبما يحقِّق هدفًا معيّنًا.

– وضوح الهدف من إجراء المقابلة لكل من الأخصائي الاجتماعي والعملاء؛ أي ينبغي أن يعرف الأخصائي الاجتماعي جيّدًا الأهداف التي يسعى إلى الوصول إليها أو تحقيقها؛ بحيث لا يضل طريقه، فالأخصائي الاجتماعي بدون أهداف واضحة ومحددة كمن يقود سيارة في الليل بدون إضاءة.

وكذلك العميل أو الجماعة إذا لم تعرف الأهداف من وراء المقابلة، لا تستجيب للأخصائي الاجتماعي وتكون كمن لا يعرف السباحة ويحاول إنقاذ غارق في البحر، أو كمن ركب الصَّحراء وهو لا يعرف طرقها؛ فالهدف هو الدّليل الذي يرشد الأخصائي الاجتماعي والجماعة إلى مرامي المساعدة المهنيَّة ومقاصدها.

– وضوح مفاهيم الحوار: لأنَّ المفاهيم هي التي تنقل في اللغة المستعملة بين الأخصائي الاجتماعي والحالة قيد الدِّراسة، وإذا لم توضّح يكون هناك لبس في المعاني والألفاظ وما تدل عليه من مقاصد ومفاهيم. وضوحها يسهل عمليَّة الإجابة والاستجابة من الجماعة؛ لأنّ أكثر المفاهيم تحتوي على أكثر من معنى؛ ولذلك ينبغي توضيحها وإذا استعملت الجماعة ألفاظًا غير واضحة أو غير مفهومة للأخصائي الاجتماعي عليه أن يطلب تفسيرها من الجماعة دون أن يحسسها بالملل أو عدم الرِّضا،

وكذلك الأخصائي الاجتماعي إذا قام بتوجيه المقابلة بأسلوب غامض، فبالضرورة يؤدِّي ذلك إلى عدم استجابة العميل أو الجماعة.

2- المقابلة التشخيصيَّة:

تعتمد المقابلة التشخيصيَّة على نتائج تحليل المعلومات، التي تمَّ تجميعها عن الحالة أو الظَّاهرة أو المشكلة، ويتم التركيز فيها على ربط العوامل التابعة والمستقلة والمتداخلة، من حيث تباينها مع واقع الحالة المشخّصة، وبما ينتج عنه تقديم تشخيص لواقع الجماعة يؤكّد أو ينفي توافر هذه العوامل ذات الأثر على ظروف الحالة الاجتماعيَّة والنَّفسيَّة والصحيَّة، وتبيان العلاقات التي تربطها ببعضها البعض والتي أظهرت الظَّاهرة أو الحالة أو أوجدتها، من الكمون إلى العلنية السُّلوكية، ما جعلها قيد البحث أو الدِّراسة وجعل مرتكبيها نزلاء الإصلاحيات الاجتماعيَّة أو المصحات الاجتماعيَّة.

ويعتمد هذا النوع من المقابلات على مبدأ المشاركة بين الأخصائي الاجتماعي والجماعة، حتى يتبيّن العميل وتتبين الجماعة الأسباب التي كانت وراء انحرافهم، مما يحفزهم على التقبُّل، ويمكن من المشاركة الفعَّالة، وإبداء الآراء من حيث التأكد من العوامل المستقلة والتابعة والمتداخلة التي بتفاديها قد يتم القضاء على مشاكل الحالة أو معالجتها، أي إنَّ التشخيص يهيئ العملاء وينمي استعداداتهم للبحث عن حلول أو معالجات لحالتهم.

وتهدف المقابلة التشخيصيَّة إلى تفطين العميل وتفطين الجماعة بتلك المعلومات الصائبة ومقارنتها ببتلك المعلومات المنحرفة؛ لكي يتم الابتعاد عن كل ما من شأنه أن ينتج عيبًا ومن تمَّ يتم التوجّه إلى ما يؤدِّي إلى صوابٍ.

3- المقابلة العلاجيَّة:

تتداخل المقابلات من أجل تكامل دراسة الظَّاهرة أو الحالة فبدون توفر معلومات مناسبة لا يمكن أن يكون هناك تحليل منطقي وعلمي، وبدون نتائج التحليل لا يمكن أن يكون هناك تشخيص قيّم، وبدون تشخيص موضوعي يعتمد على الخبرة والمهارة الفنية للأخصائي الاجتماعي، لا يمكن أن يكون هناك علاج علمي هادف.

لذلك فالمقابلة العلاجيَّة هي امتدادًا لمقابلات تشخيصيّة، ما يجعل الأخصائي الاجتماعي يسعى إلى إجراء عدد من المقابلات العلاجيَّة من أجل تدعيم جوانب القوَّة في شخصيَّة العميل من خلال مشاركته في اختيار الحلول المناسبة التي تتمشى مع قدراته وإمكانياته الذاتيَّة والبيئية، حتى لا يحدث نكوص لديه، أو لدى أعضاء الجماعة أو بعض منهم.

وتهدف المقابلة العلاجيَّة، إلى اقتناع العميل بالأخطاء التي وقع فيها والعيوب أو الأضرار التي نتجت عن الأفعال التي ارتكبها في الماضي، من خلال تبصيره بأفعاله وسُلوكيَّاته الخاطئة، والعمل على مساعدته لتعديل اتجاهاته، وتغيير بعض من عاداته السّيئة، والوصول به إلى تكفير السيئات

وإصلاح باله؛ وذلك بإقناعه حقيقة أنَّ الإنسان معرض للخطأ ويمكن معالجته وإصلاحه. كما تهدف المقابلة العلاجيَّة أيضًا إلى إزالة درجة التوتر التي يعاني منها أعضاء الجماعة، وإعادتهم إلى الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه من أجل تأدية مهامهم ووظائفهم من خلال دورهم كأفراد لا يمكن لهم الاستغناء عن محيطهم الاجتماعي.

وتهدف أيضًا إلى تفطين الجماعة بذات المجتمع؛ من حيث أعرافه وديانته وقوانينه وما يحبه وما يكره وما يجيزه وما يحرمه، كل ذلك من أجل بناء ذات الجماعة؛ لكي تكون قويَّة ويمكن الاعتماد عليها.

ثانيًا: المقابلة من حيث التعامل: التعامل مع الحالات في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة يقسم إلى الآتي:

1-المقابلة الفرديَّة:

هي مقابلة الأخصائي الاجتماعي مع المبحوث كطرف وحيد في وجود المشكلة أو الحالة وتسمى دراسته بدراسة الحالة الفرديَّة، ولم يشترك معه أحد أثناء إجراء عمليَّة المقابلة، حتى إن كان هناك آخرون لهم علاقة غير مباشرة به ولم يستهدفوا بإجراء المقابلة معهم من قبل الأخصائي الاجتماعي، فتكون الحالة فرديَّة مرتكبها شخص واحد باعتباره قيد البحث والدِّراسة، أو أنَّه نزيل مؤسَّسة إصلاحيَّة نتيجة حالته التي لم يعثر على مشاركين آخرين فيها.

ولكن ينبغي أنْ لا ننسى كأخصائيين اجتماعيين أنَّ أساس كل شيء في الوجود هو الاثنين، ولهذا لولا وجود الاثنين ما كانت العلائق المؤدِّية للتوافق أو التكيُّف، ولولاها ما كان الخصام والفراق؛ قال تعلى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[61]؛ فالحالة الفرديَّة التي يرتكبها شخص واحد هي من ضمن الاثنين. فإذا كانت الحالة انحراف الفرد عن قيم المجتمع الحميدة، فإنَّ المقابلة قد تجري معه لوحده باعتباره العنصر الوحيد في القيام بالانحراف، ولكن لا بد وأن يكون هناك طرف آخر قد وقع عليه الفعل الانحرافي، سواء كان على شخصه أوم على ممتلكاته، وفي هذه الحالة هناك اثنان إلَّا أنَّ واحدًا فقط أجريت معه المقابلة من أجل إصلاح انحرافه، أمَّا الآخر فشخص سوي قد تجري معه أيضًا المقابلة على انفراد وقد يتطلّب الأمر إجراء مقابلة مشتركة معهما من أجل تكفير الأوَّل عن سيئاته وأخطائه، وتسامح الثَّاني له مما يؤدِّي إلى إصلاح الحالة أو ذات البين.

2-المقابلة الجماعيَّة:

هي المقابلة التي يشترك فيها أكثر من اثنين ولا تصل إلى حجم المجتمع مثل جماعة النشاط الرّياضي أو الثقافي أو الفني أو المسرحي أو الأدبي أو العلمي، أو جماعة العمل، هؤلاء حسب الموضوع تجرى معهم مقابلات مشتركة بشكل منظم يقوم بها الأخصائي الاجتماعي من أجل تحقيق

[61] الذاريات 49.

أهداف واضحة ومحددة لتنمية البرامج والأنشطة وتطويرها، أو لتغييرها أو لتعديل فقراتها أو تغيير الأفراد القائمين بها كل ذلك يتم في الحالات السوية. أمَّا الحالات الانحرافيَّة فقد تكون المقابلة مع المجموعة الانحرافيّة في وقت واحد من أجل إرشادها وتشخيص حالتها أو صلاحها، ومن المقابلات الجماعيَّة مثلا: مقابلات أسرة وجيران ورفاق المبحوث سواء في المدرسة أو العمل أو في أماكن ممارسة المناشط وقضاء وقت الفراغ.

3-المقابلة المجتمعيَّة:

وهي المقابلة التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي مع المجتمع المحلي أو مجتمع القرية، وقد تكون وفق أسئلة معدَّة في استمارة مقابلة تستهدف معرفة التراث الشعبي والعادات الخاصَّة بالمجتمع المحلي في الأفراح والمآتم والأعياد الدينية والوطنية، وعن أساليب التعاون الإنتاجي، وقد تكون المقابلة من أجل دراسة ظاهره تفشَّت في المجتمع وأصبح لها آثار سلبيَّة على أفراده وأسره وجماعاته.

والمقابلات المجتمعيَّة تحتاج إلى فريق من المساعدين المدرَّبين لإنجازها؛ لأنَّها تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير يصعب على الأخصائي الاجتماعي القيام به لوحده.

وقد تزداد الظَّاهرة أو المرض في الانتشار إلى درجة الصعوبة في القضاء عليها نتيجة الوقت الذي قضاه الأخصائي الاجتماعي في الدِّراسة

ولم يصل إلى إنجازها الأمر الذي يتطلَّب فريقًا كبيرًا من البحاث المساعدين للإسراع في إنجاز الدِّراسة قبل أن تصل الظَّاهرة إلى ذروتها[62].

وحدة الملاحظة تساندًا وترابطًا:

تعتبر الملاحظة من الأدوات المهمّة في عمليَّات دراسة الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة عندما تكون قابلة للتحقق منها، وهي (وسيلة تبين مدى سعة تفكير الأخصائي الاجتماعي، وإدراكه ووعيه لما يحدث معه ومن حوله، بما يمكّنه من فهم سلوك الفرد أو الجماعة وظروفهم المحيطة، من خلال الربط بين المشاهد والمسموع والمحسوس والمدرك)؛ ولأنها الأداة المعتمدة على الحواس ودرجة سلامتها، فهي تتطلّب من الأخصائي الاجتماعي كفاءات وقدرات يمكن قياسها، وهي:

أ – القدرة على الإنصات الواعي للآخرين وتفهّم وجهات نظرهم.

ب – القدرة على التذكّر والتصّور والتخيّل، والتفكّر وفقًا لما هو متوقَّع وغير متوقَّع.

ج – القدرة على قياس العلاقات المتبادلة بين أعضاء الجماعة.

د – القدرة على تحديد الرؤية لما يجب أن يحدث، ومتابعة ما يحدث بالفعل.

---

[62] عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي. القاهرة: الانجلو المصرية، 1975. ص 362 – 268.

هـ – الاهتمام بجميع المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على الموضوع المدروس، وتبني التفكير في المتغيرات الجديدة ووضع معايير إليها.

و – القدرة على تنظيم العمل مع الجماعة بشكل منتج.

ي – الإلمام بالمتغيرات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والنَّفسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة والذَّوقيَّة على المستوى الاجتماعي والإنساني.

خطوات الملاحظة:

للملاحظات العلميَّة خطوات محددة يتم استخدامها في البحث والدِّراسة وتتحقق وفق خطة واضحة ومنهج سليم وتتكون هذه الخطوات من الآتي:

1– رصد سُلوك وأفعال كل عضو داخل الجماعة، وفقًا لقدراتهم القابلة للقياس، لأنَّ الأخصائي الاجتماعي ليس مضطرًا لأن يقوم بملاحظة السُّلوكيَّات والأفعال التي ليس إليها علاقة بالقدرات والاستعدادات والإمكانات الحاليّة والمستقبليّة.

2 – تحويل الملاحظات من تقدير رمزي (+ أو–) إلى تقدير نوعي للسّلوك، في شكل صفات شخصيَّة تمتد من الصفة الموضوعيَّة والمنطقيَّة، إلى الإنسحابيَّة والأنانيَّة عبر الشخصيَّة الذاتيَّة، ما يساعد على المطابقة بين درجات أو تقديرات الأخصائي الاجتماعي لكل عضو من أعضاء الجماعة، وبما يؤدِّي إلى مصداقيّة عالية في الملاحظة.

3- حذف الملاحظات المكررة: فبعد أن يكشف الأخصائي الاجتماعي عن المتغيرات التي حملتها المعلومات والبيانات، ويتأكد من وجود علاقة ترابط بين هذه المتغيرات والمشكلة التي تعاني منها الجماعة، أو الموضوع قيد الدِّراسة، فهذه الملاحظات ذات الأهميَّة لا يمكن الاستغناء عنها، أمّا إذا كانت هذه الملاحظات تهتم بجوانب ليس لها علاقة بالموضوع، هنا يعمل الأخصائي الاجتماعي على حذف هذه الملاحظات والأفكار، غير المهمة في عمليَّات الدِّراسة.

4 - يقوم الأخصائي الاجتماعي باستخدام أساليب متعددة للملاحظة، أثناء تحليله للمتغيرات ذات العلاقة بحالة الجماعة، فعن طريق التفكير المتباعد والمتقارب الذي تستند عليه الملاحظة العلميَّة يستطيع أن يحلل أي مشكلة قيد الدِّراسة وفقًا لما هو متوقَّع وغير متوقَّع.

- فمن خلال التفكير المتباعد (ربط أجزاء متغيرات المشكلة البحثية وصولًا للمشكلة الكلية) يتمكّن الأخصائي الاجتماعي من ملاحظة كل جزء على حده، ما يجعله يعمل على استيعابه حتى يكتشف جوانب الخلل والقصور فيه، ولكن فقط في دائرة المتوقَّع.

- أمَّا من خلال التفكير المتقارب (تجزئة المشكلة إلى أجزاء صغيرة، ثم دراسة كل جزء، لكي تتحدّد أهم الأجزاء التي ينبغي التعامل معها) يستطيع الأخصائي الاجتماعي توجيه ملاحظاته لغير المتوقَّع وفي دائرة

الممكن، بما يحرره من الواقع، ويتيح له فرصة تخيّل وتذّكر كل ما يرغب التفكير فيه.

5- تبني أساليب تشخيصيَّة، من بينها المناقشة الجماعيَّة، إذ يتقابل الأخصائي الاجتماعي مع الجماعة وفقًا لموعد محدد، مع مراعاة أن يصل الأخصائي الاجتماعي إلى مكان الاجتماع قبل الموعد من أجل ملاحظة الكيفيَّة التي تنّظم بها الجماعة اجتماعاتها، ومدى التزام أعضائها بالمواعيد، وبعد بدء الاجتماع يتقدّم الأخصائي الاجتماعي بإعطاء فكرة عن الموضوع المدروس، ويشرح الأهداف التي يسعى لتحقيقها؛ ومن تم يبدأ في توجيه الأسئلة للجماعة بصورة شفويَّة، مع مراعاة أن يعطي الفرصة لكل عضو في إبداء رأيه، حتى يتمكّن من توليد أفكاره بدون مقاطعة، وإذا لاحظ أن عضوًا من أعضاء الجماعة يحجم عن المناقشة، فيعمل قدر الإمكان على استثارته وتشجيعه للمناقشة، حتى وإن كانت مشاركته بطريقة تحريرية وليس شفوية. وبذلك يتمكّن الأخصائي الاجتماعي من ربط نتائج عمليَّة التحليل مع واقع الجماعة، مما يساعده على رسم خطة علاجيّة تتضمّن إجماعًا في الرّأي، على الحلول والمعالجات وبما يتناسب مع ظروف وقدرات واستعدادات أعضاء الجماعة.

6 - يعمل الأخصائي الاجتماعي، على ملاحظة استجابات أعضاء الجماعة للوصفات العلاجيَّة، من خلال إجراء عمليَّة متابعة لما تم تنفيذه من خطوات، وقد يحتاج الأخصائي الاجتماعي إلى تحديد أكثر من

موعد لهذه المتابعة وفقًا لنوع المشكلة ونوع الخطة، وإذا لاحظ انحرافًا عن تطبيق الخطة العلاجيَّة، عليه بتصحيح وتعديل وتقويم أي انحراف.

أنواع الملاحظة من حيث دور الأخصائي الاجتماعي:

تنقسم أنواع الملاحظة من حيث دور الأخصائي الاجتماعي إلى نوعين هما: الملاحظ غير المشارك والملاحظ المشارك.

1-الملاحظ غير المشارك:

إنَّه الملاحظ العلمي الذي لم يختلط مع الملاحظين (المبحوثين) قيد الدِّراسة، ويجري ملاحظته ويسجّلها دون أن تحس الجماعة أو العضو بأنَّهم تحت المراقبة أو المشاهدة، ما يجعل تصرفاتهم تجاه الفعل الاجتماعي طبيعيَّة، دون تكلّف في السُّلوك، وتجرى مثل هذه الملاحظات على أعضاء الجماعة وعلى الأنشطة والبرامج، وعلى المواقف، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة. فالأولى هي التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي مباشرة دون وسيط، وتتم عن بعد وكأن الأمر لا يعنيه في شيء، مع أنّه منتبه لكل ما يجرى أو ما هو مشاهد، كمشاهدته وملاحظته للوحدات السكنيّة والحالة التي عليها، ومدى اهتمام السُّكَّان بنظافتها وجمالها، أو حين يلاحظ سلوك جماعة من الصيادين أو الفلاحين أو المتظاهرين دون أن يشاركهم السُّلوك أو الفعل موضوع المشاهدة والملاحظة.

أمَّا الملاحظة غير المباشرة فهي التي تتم عن طريق وسطاء قاموا بها في الزَّمن الماضي ولازال بعضهم على قيد الحياة، مع أنَّ الموقف أو الموضع الذي اشتركوا في ملاحظته قد انتهي ولن يتكرر، فمن خلال إجراء مقابلة أو مجموعة من المقابلات معهم يتم التعرُّف على ملاحظاتهم، ومشاهداتهم السّابقة، وتعتبر هامّة للمقارنة أو لإجراء ملاحظات على أفعال حاضرة أكثر تركيزًا، أو اتساعًا من حيث المجال، وقد تكون مصادر الملاحظة وثائق وسجلات ومذكرات عامّة أو خاصّة، وقد تكون مصادر الملاحظة أشرطة مسموعة أو مرئيّة أو أجهزة حاسوب.

إنّ هذا النّوع مهم في الدّراسات الاستطلاعيّة والدّراسات المتعمّقة في طريق الخدمة الاجتماعيَّة، إلا أنَّ هذا النّوع محفوف بخطأ النسيان أو الزيادة من قبل الناقلين، لأنَّ العنعنة لا دقة فيها.

2-**الملاحظ المشارك**:

هو الأخصائي الاجتماعي الذي يقوم بالملاحظة مباشرة من أجل تجميع البيانات والمعلومات، وقد يكون الأخصائي الاجتماعي مشاركًا كاملًا، وقد يكون مشاركًا ملاحظًا.

والمشارك الكامل:

هو الذي يتحدّد من خلال دور الأخصائي الاجتماعي أثناء ملاحظة ومشاهدة سلوك عضو أو اثنين أو جماعة، وينبغي ألا تعرف

الجماعة أنَّ هناك من يقوم بملاحظة، ويكون الأخصائي الاجتماعي في هذه الحالة كأنَّه عضو أساسي في الجماعة، مما يستوجب عليه الإلمام باتجاهاتها وأهدافها والتقيد بتعاليمها وأساليب المعاملة فيما بينها ومع الآخرين، وأن يلتزم بتأدية طقوسها، وبخاصّة إذا كانت جماعة دينيّة منغلقة على ذاتها، وأن يمارس مناشطها إذا كانت للجماعة مناشط توحّد اتجاهاتها، أو تهذب نفوسها، ويفضّل أن يمتاز الأخصائي الاجتماعي بمرونة عالية في تعامله مع أعضاء الجماعة وبخاصة وأنّه قد يتعرض لمواقف استفزازيّة، إذا لم يتم تقبله من الجماعة، وإذا لم تثق الجماعة فيه كل الثِّقة.

إنَّ الهدف من ممارسة هذا الدّور من قبل الأخصائي الاجتماعي، هو التعرُّف على الأساليب التنظيميّة للجماعة، والمنهج التربوي الذي تنتظم فيه أو تنتظم عليه، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، والمخاطر المترتّبة عليها، أو الفوائد المحققة إليها، وذلك من أجل أخذ عبرة يستفاد منها في الحياة العامَّة، وتنظيم المجتمع والمحافظة على سلامته، مع أنّ بعض أنواع التفاعل الاجتماعي يصعب أن يقوم الباحث بملاحظتها؛ وذلك مثل الممارسات الجنسيّة والاختلافات الأسريَّة، وأنّ هذا الدّور يحتاج إلى وقت كافٍ وتدريب راقٍ حتى يتمكّن الأخصائي الاجتماعي من الاقتراب إلى أعضاء الجماعة والتعرُّف على ما يخفوه، أو يعلنوه فيما يتعلّق بموضوع الملاحظة.

أمَّا المشارك الملاحظ:

فهو الأخصائي الاجتماعي الذي حدد وسيلة الملاحظة كأداة هامَّة في تجميع البيانات من أعضاء الجماعة الذين يعرفون دوره المعلن بأنَّه المشارك الملاحظ، وينتشر هذا النّوع كثيرًا في الدِّراسات الأنثروبولوجيّة، وقد ترتقي درجة الثِّقة بين الأخصائي الاجتماعي والجماعة إلى درجة الصداقة التي ينبغي ألا تؤثر على موضوع الملاحظة، وينتشر هذا النّوع كثيرًا في الدّراسات الميدانيّة؛ ولهذا الدّور ميز وعيوب:

فمن ميزه تقبُّل الجماعة للأخصائي الاجتماعي والتعرُّف عليه كباحث ميداني، وقد تثق فيه الجماعة إلى درجة إظهار كل ما هو كامن عندها من أفعال وسُلوكيَّات وعادات وأعراف، من أجل عدم إحساسه بالغربة، أو نتيجة اعتزازهم بما يمارسونه من سلوك وأفعال، أو نتيجة اعتبارهم لما هم عليه ذا قيمة.

أمّا عيوبه: إذا لم تقبل الجماعة الأخصائي الاجتماعي وتثق فيه قد تسلك أمامه سلوكيّات مصطنعة حتى تظهر ذاتها بأنّها مثال أمام الملاحظ، أي إنَّ الأفعال والمناشط والأدوار التي تقوم بها أمامه ليست طبيعيَّة، بل مختلقة، وكذلك قد يندمج الأخصائي الاجتماعي في الجماعة إلى درجة تأثره العاطفي بأدوار الجماعة فيتحيّز إليها بشكل قد ينسيه دوره العلمي الذي جاء من أجله[63].

[63] المرجع السابق، ص 126.

وحدة المشاهدة تساندًا وترابطًا:

يقصد بالمشاهدة هي (الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، لأنهَّا مقتصرة على العين في مشاهدة الأشكال والأفعال، وتمكّن الأخصائي الاجتماعي من الوصف لما يشاهده)، وتوجد علاقة ترابط بين المشاهدة والملاحظة تتمثل في:

الملاحظة عميقة وواسعة، وتحتوي على الاستنتاج العقلي، أمَّا المشاهدة تحتوي على المعاينة بالعين للشيء؛ وذلك عن طريق تفحّصه ككل وكجزء بنظرة نافذة. أي إنَّ المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال والصور والأجسام، وحركتها والتعرُّف على مكونها (الأجزاء المتكونة منها) أي: التعرُّف على كل ما يمكن تصويره أو رسمه أو أنَّه في حالة حركة وامتداد.

عليه: قد تكون المشاهدة وسيلة هامَّة للملاحظة، فمن مشاهدة جماعة نشاط فني حرّ من أجل دراسة اتجاهاتهم قد نجد أنّ أحد الأفراد يرسم وردة أو زهرة أو فُلةٌ، ونجد آخر يرسم رجلًا على صدره، أو على إحدى ذراعيه عقرب أو سكّين أو إخطبوط، ونجد ثالثًا يرسم فتى وفتاة بينهما مودة، أو قلبا في وسطه فتاة، أو سيارة يركبها عروس وعروس؛ فهذه مشاهدات يمكن أن يلاحظ من خلالها، أنَّ الأوَّل يحب الجمال ويلاحظ عليه أيضًا الانشراح والمرونة والحياة المبتهجة، وهو مبتسما غير عبوس، ويلاحظ على الثَّاني الاتجاه الإجرامي والانحرافي وعدم احترام الآخرين، ويلاحظ على الثَّالث أنَّ له حبيبة وأنَّه يرغب في زواجها وهي مركز اهتمامه.

وعليه: هذه الاتجاهات الثّلاث قد يتم التعرُّف عليها من الملاحظة وبواسطة المشاهدة، ويلاحظ أيضًا العمق في كل حالة من الحالات الفرديَّة السّابقة، التي ظهرت أمامنا من البداية كمشاهدات محدودة، وإذا شاهدنا مباراة لكرة القدم، نشاهد أمامنا جماعتين في وسط الملعب بنوعين من الملابس الرّياضيَّة، ومرميين للتهديف ، بوسطهما حارسين وجمهور متحمس، ونشاهد حركة اللاعبين وحركة تسجيل الأهداف، وهذه المشاهدات التي تترتّب عليها الملاحظات، والتي تمكّن الأخصائي الاجتماعي الملاحظ من معرفة درجة التعاون بين اللاعبين، والمهارات الفنية لهم ولياقاتهم وقدرات تحمّلهم، وعلاقتهم بالجمهور وإصرارهم على الفوز، ويلاحظ أيضًا علامات الهزيمة، والفوز في نهاية المباراة على أفراد الفريقين والمشجعين والمدربين حسب النتيجة لكل فريق.

ولذا فالمشاهدة تعتمد على ما تراه العين، ولكن ليس كل ما تراه العين هو حقيقة، لأنَّ الظَّاهر قد لا يكون الباطن؛ ولذلك الاعتماد على المشاهدة في القضايا العلميَّة مسألة غير يقينية فيصعب التسليم بمصداقيتها: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى}[64]. أي من مشاهدة سلوكهم قد تعتقد أنَّهم في حالة سكر، ولكن بملاحظتهم عن قرب، قد لا يكونوا سكارى مع أنّ حركتهم فيها شبه من هذا، ويقول الدكتور محمّد على عمر: "إنَّ الاعتماد على العين في المقارنات العلميَّة غير كافٍ، وليس دقيق، لأنَّ

[64] الحج، الآية 2.

إجماع النَّاس على حكم معين بمثل هذه الوسيلة غير ممكن"[65]؛ مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة والمقابلة في عمليَّات الدّارسة، سواء جمع المعلومات أو التحليل أو التشخيص أو العلاج الذي يمكّن الأفراد والجماعات من أداء واجباتهم الاجتماعيَّة وفق ما لهم من حقوق، وما عليهم من مسؤوليَّات تفاديًا لعيوب المشاهدات: "فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ"[(66)]. وقال تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ "[(67)]. فمن خلال المشاهدة كان يعتقد القمر هي الرَّب ولما غابت لاحظ أنّها تفتقد لصفة الرّب الواحد (الله) وهي خاصيّة البقاء دون غياب بوحدانيّة الثبات، وأعتقد مرة أخرى بأنّ الشمس هي الرّب فلما غابت عن المشاهدة في الليل، لاحظ أنَّها تغيب وهذه الصّفة لم تكن من صفات الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك لانعدام خاصيَّة البقاء؛ لأنَّه الحي الذي لا يغيب، ويرى النَّاس وأفعالهم، وما تخفيه وتظهره صدورهم.

لذلك ترتبط الملاحظة بالموضوع ولا تنفصل عنه، لأنّها إذا انفصلت عنه تصبح غير علميَّة وبدون معنى محدد إليها؛ فإذا افترضنا أنّ الموضوع

---

[65] محمد على عمر، مناهج البحث في الجغرافية بالوسائل الكمية. الكويت: وكالة المطبوعات، 1978م. ص 178.

[66] سورة الأنعام، الآية 77.

[67] سورة الأنعام، الآية 78.

هو: مدى تمسّك سكان مدينة طرابلس بارتداء الزي الوطني، فإنّ ذلك يستوجب على الأخصائي الاجتماعي ملاحظة ومشاهدة سكان المدينة في أماكن مختلفة وأوقات مختلفة، وقت العمل وأماكنه، وفي المدارس والجامعات والمناسبات الدينيّة والأعياد الوطنيّة والأعراس وحفلات الختان والمآتم وفي الشوارع العامَّة وأيام العطلات وأماكن الترفيه. فإذا ذهب الأخصائي الاجتماعي إلى المصيف البلدي وشاهد المصطافين بدون زيهم الوطني فهذا لا يعني عدم تمسكهم به، ولكنّه يعني أنّ طبيعة المكان لا تستوجب لبس الزّي الوطني، بل إنّه لو شاهد أحد المواطنين يرتديه وهو مع المصطفين على الشاطئ يلاحظ عليه إخلالا بالذَّوق العام، وعدم احترام الزّي الوطني، وإذا شاهد أحد أساتذة الجامعة يرتدي ملابس البحر القصيرة وهو في الفصل الدّراسي أو المدرجات الجامعيّة في البلدان العربيّة، فإنّه يلاحظ عدم احترام الأستاذ للمكان الجامعي ولطلبة الجامعة، وتختلف المشاهدة عن الملاحظة في المثالين السّابقين، الملابس تشاهد وتميّز، أمّا الاحترام والتقيد بالذَّوق العام يلاحظ ولا يشاهد. وإذا ذهب الأخصائي الاجتماعي إلى مأتم وشاهد امرأة ترتدي ملابس عروسة، يلاحظ أنّها خارجة عن الموضوع، لأنّها لم تتقيد بالظرف الزّماني والمكاني للزّي الذي ترتديه، ولم تحترم المناسبة وشعور الآخرين، وإذا شاهد بعض الأفراد يسبحون بالزّي الوطني بالمصيف العام يلاحظ عليهم عدم احترامهم للزّي الوطني الذي يجب ألا تقدم له الإهانات.

ولا تقتصر الملاحظة على الصور والأشكال بل تتعداها إلى المعاني والألفاظ، وما يحاول أن يخفيه أو يظهره الأخصائي الاجتماعي، يقول الدكتور ماهر عبد القادر: (إنّه لا يمكن أن ننظر لعبارات الملاحظة على أنّ معانيها ثابتة أو متغيرة فالملاحظون البشريّون هم ذاتهم شيء خاص ومختلف أشد الاختلاف عن أدوات الفيزيائي، ولا بدّ من معالجتهم بصورة مختلفة)[68].

هذا لا يتحقق بالمشاهدة التي تقتصر على مشاهدة الصورة (المتحرك والثابت) إنَّ التناقض في الحديث والتلعثم والخجل والتظاهر بالبراءة والتظاهر بالخوف والخوف الحقيقي والمحبة والتظاهر بالمحبة والانطواء والاكتئاب والتشاؤم ومحاولة إنكار الانفعال والغضب، وإظهار الفرح والمرح كل هذا لا يمكن مشاهدته ولكن من الممكن ملاحظته. المشاهدة تقتصر على رؤية المنبسط فرحة، أو الباكي حزنًا، ولهذا فلباكي يشاهد، والبكاء يلاحظ، وكذلك الفرحان يشاهد، والمفرح يلاحظ.

وعليه: ليس كل ما يلاحظ يشاهد، ولكن كل ما يشاهد يمكن أن يلاحظ؛ ولذا فإنَّ قوَّة العلاقات بين أفراد الأسرة أو الأمَّة لا يمكن مشاهدتها، ولكن بالإمكان ملاحظتها، الحرِّيَّة لا يمكن مشاهدتها، ولكن من الممكن ملاحظتها، ومع أنَّ للحرية أساليب لممارستها في سلوك عن

[68] ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العلوم " المشكلات المعرفية "، بيروت: دار النهضة العربية، الجزء الثاني، 1984 م. ص 101.

طريق اللجان والمؤتمرات والبرلمانات والجمعيات، والتنظيم الاقتصادي من خلال الملكية العامَّة والخاصَّة، وديناميكيّة الإنتاج التي يمكن مشاهدتها كتعابير عن الحرِّيَّة؛ إلا أنَّ التعابير المعلن عنها من قبل الحكومات من خلال المشاهدة قد لا تعبر عن ما صدق، ومن خلال الملاحظة قد يثبت عكس ما يقال أو يكتب، فعن طريقها قد تكون الحقيقة أنَّ الدّولة التي تدعي ممارسة الحرِّيَّة عن طريق جلسات المجالس والبرلمانات التي يمكن مشاهدتها بالنقل المباشر من خلال شاشات الإذاعة المرئيّة وشبكات الانترنيت، يلاحظ أنَّها نظامًا كبحيًّا، أو سفليًّا أو طبقيًّا.

وحدة الاستبيان تساندًا وترابطًا:

الاستبيان هو الاستيضاح، الذي يود الأخصائي أن يتعرف به على الموضوع من خلال التعرُّف على متغيراته، ومكامن علله وأسبابه، ويعتبر الاستبيان أحد الوسائل التي يعتمد عليها الأخصائي الاجتماعي في تجميع المعلومات من مصادرها، وبه يتم استنطاق أعضاء الجماعة المستهدفين بالدِّراسة؛ من أجل الحصول على إجاباتهم بإرادة عن الموضوع، الإجابات التي يتوقَّع الأخصائي الاجتماعي أنَّها شافية بالتمام، مما يجعله يعمم أحكامه من خلال النتائج المتوصّل إليها، على آخرين لم يشتركوا في الاستنطاق الاستبياني، وعليه يطرح التساؤل الآتي: هل الاستبيان يمثّل الأخصائي الاجتماعي؟ أم يمثّل الموضوع قيد الدِّراسة؟ أم يمثّل أعضاء

الجماعة؟ وهل يكون الأخصائي الاجتماعي صادقًا فيما يطرحه علينا من نتائج تم التوصل إليها؟

إنَّ الإجابة على هذه الأسئلة المركبة قد لا تجد إليها سندًا علميًّا أو سندًا من اليقين؛ لأنَّ الاستبيان إذا كان هو الممثّل للموضوع، إذن ما هي الوسيلة التي ربطت بينهما؟ فإذا كان الموضوع هو الجهاد أو الحرّيَّة أو الطلاق، كيف يمكن للاستبيان أن يمثّل ذلك إذا اجزنا أنَّه وسيلة استنطاق أعضاء الجماعة المستهدفين بالبحث؟ وبما أنَّ هذه المواضيع ليست بناطقة، فكيف يمكن للاستبيان أن يمثّلها؟ ولهذا الاستبيان لا يمكن أن يمثّل الموضوع؛ ولعل البعض يتحفَّز مسرعًا بأن يجيب أنَّه يمثل أعضاء الجماعة باعتبارهم مصدر المعلومات المراد التعرُّف عليها من قبل الأخصائي الاجتماعي أو الجهة المشرفة على الدِّراسة، أو الراغبة في نتائجها، من هنا نتساءل: هل أعضاء الجماعة هم الذين صاغوا استمارة الاستبيان؟ إذا كان كذلك فإنَّها تمثّلهم، وإذا لا فإنَّها لا تمثلهم؛ وبما أن أعضاء الجماعة هم مصادر المعلومات وهم مكامنها، إذن هم الممثلين للموضوع، وبما انَّهم هم الممثلين للموضوع، إذن هل يكتمل دورهم وفق رؤية الأخصائي الاجتماعي وحسب صياغته لأسئلة الاستبيان؟

أقول: لا اعتقد ذلك، وبما أنَّنا لا نعتقد ذلك، إذن الاستبيان لا يمكن أن يمثّل الموضوع ولا يمكن أن يمثّل أعضاء الجماعة ولكنَّه يمثّل توقّعات الأخصائي الاجتماعي عن الموضوع.

ولهذا فالاستبيان هو (مجموعة من الأسئلة التي يطرحها الأخصائي الاجتماعي على أعضاء الجماعة وفق توقعاته للموضوع، والإجابة تكون حسب توقُّعات الأخصائي الاجتماعي التي صاغها في استفسارات محددة). وهذا ليس بالضرورة أن يكون صوابًا، لأنَّ الصّواب ينبع من المصادر التي تلم بالموضوع وتعايشه لا من توقّعات الأخصائي الاجتماعي، الذي لم يعرف حقيقة الموضوع ويود أن يعرف عنه؛ وإذا تسائل بعضٌ هل نعنى بذلك الاستغناء عن الاستبيان؟ نجيب أنَّنا لا نقصد الاستغناء عنه، ولكن نقصد تطويره من خلال مشاركة المصادر المستهدفة بالدِّراسة أو البحث في إثارة الأسئلة مع الأخصائي الاجتماعي قبل صياغته للاستمارة صياغة نهائيَّة؛ وذلك عن طريق إجراء مقابلات استطلاعيَّة مِن قِبل الأخصائي الاجتماعي على الجماعة المراد التعرُّف عليها أو على مشاكلها وظواهرها من خلال الموضوع، ثم بعد ذلك يتم إعداد استمارة جمع المعلومات وفق الخطوط العريضة التي أشارت إليها الجماعة والتي استنبطها أو استوضحها الأخصائي الاجتماعي منهم.

وعليه: فلولا المصادر ما كان هناك موضوع، ونحن لولاها عرفنا الموضوع، وبما أنّ معرفة الموضوع بالمصادر، إذن ما دور الأخصائي الاجتماعي ووسيلة الاستبيان في ذلك؟

إنَّ الأخصائي الاجتماعي كالسائق والوسيلة كالسيارة والمصادر هم الجماعة الذين يود الأخصائي الاجتماعي السفر إليهم ليشاركهم أفراحهم

أو أحزانهم؛ وذلك حسب الموضوع، الذي تم التعرُّف عليه من خلال أعضاء الجماعة ودرجة توترهم أو تفاعلهم أو فرحتهم، بناء على هذا فانَّ الضرورة أوجدت الأخصائي الاجتماعي الماهر المرخص له من أجل سلامته وسلامة الركَّاب الذين قد يسافرون معه، أو المارة في الطرقات. وبما أننا نتحدث عن دراسة الحالات الجماعيَّة في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، فانّ الضرورة المنهجية تستوجب وجود الأخصائي الاجتماعي لكي يُظهر الدِّراسة في فستانها اللائق بها بتفصيله الجميل الذي يظهر الجسم الاجتماعي في سترة تزيده زينة وجمالًا. ولهذا فإن الدِّراسة العلميَّة تستوجب (أخصائي اجتماعي، ومصدر، وموضوع ووسيلة). إلا أنَّ المصدر "منبع المعلومات" قد يكون بشرًا وقد لا يكون، فإذا كان بشرًا كانت الوسيلة ضرورية، وإذا كان كتابة "وثيقة أو مخطوطة" كان المصدر محمولًا بالوسيلة، ولا يحتاج إلا للتحقيق أو للتحليل أو لعرضه كشواهد إثبات للموضوع.

ولذا فالموضوع دائمًا حيًّا، أمَّا مجتمع الموضوع أو أفراده (المصدر) قد لا يكونوا موجودين؛ فالجهاد أو الزواج أو الانحراف أو الفلسفة أو التّاريخ دائمًا أحياء، أمَّا القائمين بها أو مرتكبيها قد لا يكونوا أحياء مع أنَّ بعضهم أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن لم نرهم في عالم الوجود (عالم المشاهدة) مع العلم أنَّ أعمالهم على قيد الحياة ويمكن الاقتداء بها، وكذلك أفكارهم يمكن قياسها والتحقق منها والاستشهاد بها أو انتقادها ودحضها بأفكار أكثر دقة وعلميَّة.

وإذا تساءل البعض عن العلاقة بين الاستبيان والعينة؟ فتكون الإجابة لم تكن هناك خصوصيَّة بينهما؛ لأنَّ الأولى وسيلة فقط، والثَّانية وسيلة ومصدر. وسيلة باعتبارها تفيد في إعطاء مؤشرات عن المجتمع وهذه المؤشرات قد تقترب وقد تبتعد عن الحقيقة، وتكون مصدر عندما لا تعمم نتائجها على آخرين لم يشتركوا في الاستنطاق الاستبيان، وفرق كبير بين المجتمع والعينة فالأوّل مصدر علمي ومعرفي له مصادق الإثبات، والثَّاني جزءًا من المصدر ووسيلة التعرُّف على منطلقاته واتجاهاته ومؤشراته. فعن طريق العينات يمكن الاقتراب من المجتمع أو التوجه إليه من اجل التعرُّف عليه، وإذا تم التوجه إلى المجتمع مباشرة بدون العينة تكون عين الصواب في الطريق الصحيح والمعلومات المتحصل عليها بالاستبيان لها مصادق، أمّا إذا توجه الأخصائي الاجتماعي بالاستبيان إلى العينة فانّه يتحصل على معلومات ولكنّها قد لا تكون لها مصادق، وبما أنَّ العلم هو البحث عن الحقيقة فالحقيقة مرة إذا قلنا أنَّ العينة التي تعمم نتائجها لا يمكن أن تكون لمعلوماتها مصادق المجتمع عندما يستهدف بالبحث والدِّراسة مباشرة دون توسط العينة.

وعليه: لم يرتبط الاستبيان بالعينة من حيث الضرورة البحثية، بل الذي يرتبط بها من هذه النَّظرة هو الأخصائي الاجتماعي الذي يود الخروج من موضوع دراسته بأيِّ شكل من الأشكال وبأبسط الطرق والوسائل بغض النَّظر عن الأهميَّة العلميَّة التي تستوجب الاهتمام وعدم التملص

منها، ولهذا فالاستبيان وسيلة تتحدّد أهميَّته، بأهميَّة من يستعمله، والهدف الذي يود الوصول إليه.

إذن: فما هو الاستبيان؟ إنَّه وسيلة الأخصائي الاجتماعي لاستقراء المجتمع والعينة، واستيضاحهم عمَّا يلمّون به من معرفة عن الموضوع؛ وذلك لتبيان ما لم نعرفه؛ ليكون حاضرًا من خلال معلومات عند الآخرين، ولهذا يستوضح الباحث أو الأخصائي عمَّا لا يعرف؛ لأجل أن يعرف، ومن ثمَّ ليحلل ويشخص، ويعالج ويقيّم.

الخطوات التي تحفّز الجماعة على تعبئة الاستمارة:

1 – أنْ تحسَّ الجماعة بفلسفة الاستبيان وما يكمن ورائه من فوائد.

2 – أنْ يوضّح الأخصائي الاجتماعي أهداف البحث لأعضاء الجماعة.

3 – أنْ لا يحمّل الجماعة أيِّ تكاليف بريديَّة أو غيرها.

4 – أنْ يوضّح الأخصائي الاجتماعي لأعضاء الجماعة أسباب اختيارهم كأفراد أساسيين للدِّراسة، سواء كانوا منحرفين في الاتجاه السَّالب أو الموجب، أو أنَّهم في حالة استمرار قيمي بلا تغير.

5 – أنْ يذكر لهم الجهة التي تدعم الدِّراسة إن وجدت، أو الجهة التي ترتقب نتائجه.

6 – أنْ لا يطلب الأخصائي الاجتماعي كتابة الاسم على الاستمارة قدر الإمكان، ومع ذلك لكل موضوع أو حالة خصوصيَّة.

7 – أنْ يراعى الوقت المناسب للجماعة أثناء توزيع الاستمارة.

وحدة التصنيف القيمي تساندًا وترابطًا:

يعد التصنيف القيمي من أحدث الوسائل المتبّعة في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، وأكثرها أهميَّة سواء في طريقة خدمة الفرد أم طريقة خدمة الجماعة أم طريقة تنظيم المجتمع أم إدارة المؤسّسات أو طرق البحث الاجتماعي. وترجع هذه الأهميَّة للآتي:

1– اعتبار أنَّ القيم محورٌ أساسيٌ في حياة الفرد والجماعة والمجتمع؛ فالقيم تكوِّن تنظيمًا خاصًّا للخبرة الناتجة والمتكوِّنة عند الفرد، في أثناء تفاعله مع أعضاء جماعته أو مع عناصر بيئته في مواقف الاختيار والمفاضلة، ما جعل طريقة خدمة الجماعة تهتم بحياة الفرد والجماعة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة وتعمل على تهذيبها وتطويرها إلى ما هو أفضل، ولكي تُحقق ذلك لابد أن تستند إلى نسقٍ من القيم والأخلاقيَّات التي تُعتبر القاعدة الأساسية التي لا غِنى عنها؛ فالقيم تمتدُّ لتمسَّ العلاقات بكافة صورها، فتعمل على تحديد طبيعة العلاقات بين أعضاء الجماعة وبينهم وبين الجماعات الأخرى؛ ولهذا تعتمد الجماعة في تكامل بنيانها الاجتماعي على القيم المشتركة بين أعضائها، والتي كلما اتسع مداها بينهم ازدادت وحدتها

قوَّة وتماسكًا، في حين تضعف تلك الوحدة كلَّما انحسر مدى القيم بينهم، مما يؤدِّي أحيانًا إلى الصِّراع والتفكّك بين أعضاء الجماعة.

2- يتميّز التصنيف القيمي عن وسائل عمليَّات الدِّراسة السَّابقة (المقابلة والملاحظة والمشاهدة والاستبيان)، أنَّه بالإضافة إلى كونه وسيلة لجمع المعلومات والبيانات من مصادرها المتعددة، أيضًا هو وسيلة تحليل لهذه المعلومات والبيانات بعد تصنيفها وتبويبها وفقًا للقيم وللمعايير والمقاييس التي انتظم عليها.

عليه فإنَّ التصنيف القيمي في طريق الخدمة الاجتماعيَّة يقصد به (أداة تمكّن الأخصائي الاجتماعي من ترتيب المعلومات دون تداخل أو التباس بين قيمها المتعددة، بتصنيف الكل مع الكل، والجزء مع الجزء، والمتجزئ مع المتجزئ، ومن تم تمكّنه من إظهار أثر المتغيرات التي كانت وراء ظهور المشكلة أو الحالة، وبمراعاة الظرف الزّماني والمكاني للفرد أو الجماعة أو مجتمع الدِّراسة قيميًّا)[69].

[69] عقيل حسين عقيل، عز الدين أبو التمّن، التصنيف القيمي للعولمة. مالطا: منشورات الجأ، 2001ف، ص318.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (199) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلَّفاتُ

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الدِّيمقراطيَّة في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجيَّة القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجيَّة القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجيَّة القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمة وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقَّع وغير المتوقَّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبُّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرَّفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرَّار وحقَّائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السّياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنيَّة بين متوقَّع وغير متوقَّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنيَّة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصَّائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقَّع وغير متوقَّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التَّأزُّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيَّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثِّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطَّريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظُّلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التَّأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النَّظريَّة خلقا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النَّظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النَّظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطَّريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشَّيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السَّابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدَّور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكُّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

194 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (التطرف بين المعلومة الخاطئة والمعلومة الصَّائبة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

195 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (كيف تصنع أملا)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

196 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الخوف استطلاع مستقبل من التذكُّر إلى التفكُّر)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

197 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (مجالات مهنة واستنارة عقل)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

198 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (المبادئ القيميَّة لرعاية الأفراد وتنظيم المجتمع)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

199 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (طرق متساندة مترابطة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

المؤلِّفُ في سطورٍ

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الثَّانية جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عامّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (199) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/